

مُتَطَفَاتُ مِنَ الْكُتُبِ وَالْمَجَلَاتِ قضايا لغوية

المنجاة

- 1 - التعريب في العصر الاموى والعباسى 184
- 2 - التعريف والنقد « الارقام العربية »
للدكتور عدنان الخطيب 186
- 3 - التعريب والاصطلاح
للدكتور احمد عبد الستار الجوارى 191
- 4 - بعض الشوائب في النحو
للاستاذ عباس حسن 194
- 5 - التعريب ضرورة في الجامعات العربية
للدكتور عبد الوهاب محمد عامر 199

مُقْتَطَفَاتُ مِنَ الْكِتَابِ وَالْمَجَلَاتِ قَضَايَا لُغَوِيَّة

اتيانا للفائدة المتوخاة من عمل هذا «اللسان
العربي» على بث الوعي اللغوي — ننشر في هذا الباب
مختارات ومقتطفات مما اطلعنا عليه اثناء تهيئة هذا
العدد مما تفيض به القرائح من الدراسات اللغوية ، في
ارحاء وطننا الكبير .

وذلك حتى يظل قراؤنا على اطلاع
بمستمر بكل ما ينشر في صحفنا ومجلاتنا العربية من
بحوث في هذا الصدد .
ونرحب بما يوافينا به قراؤنا الكرام من هذا
القبيل ، للاعداد المقبلة .

التعريب في العصر الاموي والعباسي

للدكتور توفيق سلطان اليوزبكي

في نشر الثقافة كمدرسة حران وهي مدينة في الجزيرة شمال العراق وفكر نخبة من أساتذتها وخريجياتهم منهم أبو عبد الله البتاني الفلكي المشهور ، وثابت بن قرة المترجم المشهور ، وأبو الحسن ثابت واسحق وأبو الفرج الخ. ومدرسة نصيبين وهي مدينة تقع بين أعالي بلاد ما بين النهرين التي ساعدت على نشر كتب الفلسفة اليونانية التي ترجمها النصارى النساطرة .

ومدرسة جند يسابور وهي مدينة تقع في خورستان التي كانت بها مدرسة الطب المشهورة التي أسسها كسرى وزاد نشاط هذه المدرسة بعد اتصالها بالمسلمين واشتهر من أساتذتها وطلابها في العصر العباسي جرجيس بن يختشوع الطبيب المشهور . وخفيده جريل بن يختشوع ، ويحيى بن البطريق وزكريا بن يحيى بن البطريق وأبو يوحنا بن ماسويه ، ولقد قامت هذه المدرسة بدور هام في التعريب والتأليف والترجمة من السريانية إلى العربية .

ثم انتقل الباحث إلى الحديث عن دوافع حركة التعريب فأشار إلى أن هذه الحركة بدأت في عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد حيث جعلوا اللغة العربية الرسمية في دواوين الدولة ومراسلاتها ، وانكب الكثير من الداخلين في الإسلام على التبحر في علومه لفهم القرآن وإيجاد قواعد للغة العربية وهو ما اصطلح على تسميته فيما بعد بعلم النحو ، وأشار الكاتب إلى الدور الكبير الذي لعبه سيبويه — أحد تلامذة الفراهيدي —

نشرت مجلة «آداب الراغبين» التي تصدر عن جامعة الموصل بالعراق ، في عددها السابع 15 تشرين الأول 1976 هذا البحث الشيق للدكتور توفيق سلطان اليوزبكي نلخصه فيما يلي :

استهل الباحث الكريم بحثه مشيراً إلى الأثر الكبير الذي أحدثته حركة الفتح الإسلامي للعراق وفارس والشام ومصر بمظاهرها العسكرية والبشرية والفكرية ، حيث أقبل سكان البلاد المفتوحة على تعلم العربية وآدابها ، وكذلك عن الأثر الذي أحدثته الفرق الإسلامية ومذاهبها في توضيح هذه الثقافة . ثم انتقل السيد الباحث إلى الحديث عن أثر الثقافات الأجنبية ومدارسها في التعريب حيث احتلت اللغة العربية المكانة اللانقة بها بين هذه الثقافات وكان لها أثر كبير على غير المسلمين للدخول في الإسلام حيث أقبل هؤلاء الأجانب على دراسة أمهات الكتب العربية حتى أصبحت بغداد حاضرة العالم الإسلامي .

ولقد ذكر الكاتب الفاضل ممن تأثرا بالفكر العربي اليهود والنصارى والصابئة حيث أخذوا ينتقلون عن اللغات الأخرى ويستدل الباحث في هذا الصدد بقول المستشرقين : سيديو وديورانت عن الأثر البالغ الذي أحدثته الحضارة العربية في الشعوب الأخرى ، حيث حافظ العرب على المؤسسات العلمية التي كانت لاهل الذمة في البلاد المفتوحة والمدارس العلمية الأخرى التي كانت بها . ثم أشار السيد الباحث إلى دور هذه المدارس

بوضعه علم النحو في صورة نظامية جرت عليها الاجيال المتبلة وكان ينافس في هذا العلم الكسائي الكونى .

ويؤكد الكاتب ان اقبال المسلمين على تشجيع حركة التعريب يعود ايضا الى ظهور الفرق الاسلامية وبروز فكرة الاعتزال والقول وفي القضاء والقدر ويؤكد المؤلف ان الفتوحات الاسلامية والفكر الاسلامي كان لهما اسهام كبير في حركة التعريب هذه حيث اقبل العرب على التزوج بالاجنبيات من البلاد المفتوحة فادى ذلك الى نشأة اجيال تجيد لغات متعددة اقبلت فيها بعد على ترجمته ونقل الكثير من علوم مختلف الامم والشعوب . ويشير الكاتب الى ان اولى محاولات التعريب في العهود الاسلامية كانت (تعريب النقود) منذ الخليفة عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان وعلى بن ابي طالب ثم عبد الله بن الزبير ، وتوسع المؤلف في معالجة هذا الموضوع .

ثم انتقل الى الحديث عن تعريب الدواوين الذي بداه عبد الملك بن مروان فتحوّلت المراسلات في الشام من الروحية الى العربية ، وتحوّلت في العراق من الفارسية الى العربية على أيام ولاية الحجاج بن يوسف، أما الدواوين المصرية فقد عريت في ولاية عبد الله بن عبد الملك في خلافة الوليد سنة 87 هـ . وفي مجال حديثه عن اشهر من قام بدور التعريب ذكر الاموي الرهاوي الذي ترجم الكثير من كتب الالهيات اليونانية الى العربية.

واضطلع السريانيون بنشر الفلسفة اليونانية في العراق ، وفي عهد المأمون وبعده كان منهم (الصائبة) من تولى ترجمة الكثير من الكتب الاجنبية .

ويشير المؤلف الى ان حركة التعريب هذه انصبت اساسا على كتب الفلسفة والطب والنجوم والمنطق وان دوافع هذه الحركة كانت هي خدمة العلم والعمل على نشره .

ونوه بعد ذلك بدور الفرس في هذه الحركة حيث اقبل كثير منهم على اللغة العربية ومنهم موسى بن سيار الاسواري الذي عجب به الجاحظ وقال عنه ان فصاحته بالعربية كانت في وزن فصاحته بالفارسية .

واشار المؤلف في هذا الصدد الى الفصل الذي مقده ابن النديم في كتابه الفهرست عن أسماء النقلة من الفارسية الى العربية فذكر منهم عبد الله بن المقفع وآل نوبخت وموسى ويوسف ابني خالد ومحمد بن

الجهم والبرمكي وزادويه بن شاهويه وبهرام بن مردان شاه واسحق بن يزيد والبلاذري وسواها من الاسماء التي اسهمت في نقل الكثير من النفائس الفارسية الى العربية . اما من ترجم عن العبرية — يقول المؤلف — فلم يتعد اهتمامات الديانة اليهودية .

واهم ما عرب من كتب الهند كتاب «السند هند في حركات النجوم» الذي امر المنصور بترجمته الى العربية. وفي العصر العباسي الاول بدأت حركة تعريب واسعة النطاق في النواحي العلمية والثقافية منذ خلافة المنصور الذي كان شغوفا بالطب والهندسة وهو اول من راسل ملك الروم يطلب منه كتب الحكمة فبعث اليه بكتاب اقليدس وبعض كتب الطبيعيات . وشجع العلماء ، وفي هذا العصر نبغ فيلسوف العرب ابو يوسف الكندي وسواه من المشاهير. وبعد ان تحدث الكاتب عن دور الرشيد في هذه الحركة انتقل للحديث عن المأمون الذي اتتدى بوالده الرشيد في اهتمامه بالعلوم فجلب الكتب من ملوك الروم وانشأ بيت الحكمة المشهور وارسل بعثات في شراء الكتب . . الخ

ويشير الكاتب الى ان حركة التعريب بلغت اشدها على عهده حيث ترجمت في هذا العهد كتب اليونان الكبرى مثل كتب افلاطون وارسطو وستقراط وجالينوس واقليدس وارخمديس وبطليموس وغيرهم ويذهب المؤلف الى ان التعريب استمر في عنفوانه وكثافته حتى اواسط القرن الثالث الهجري وان المد التعريبي لم ينقطع وقد استمر حتى اواسط القرن الرابع الهجري . ويعود الكاتب — مرة اخرى — ليؤكد دور اهل الذمة وذكر منهم اسماء كثيرة سبق ذكرها . ويشير في الاخير الى الانادة العظمى التي افادته اللغة العربية بتوسيع معجمها بدخول الفاظ جديدة كثيرة اليها من لغات مختلفة كالفارسية واليونانية والهندية الخ .

وختم الدكتور البيزكي بحثه المانع بقوله :

ان نشاط حركة التعريب كان بدوافع رسمية وشعبية وكان للاسلام اثر كبير في نجاح عملية تعريب الامم التي انتشر الاسلام فيها كما بعثت الحركات السياسية والفكرية والازدهار الثقافي والحضاري ولعب بعض خلفاء المسلمين دورا بارزا ومهما في توسع هذه الحركة وانتشارها بين الشعوب التي خضعت لدار الاسلام .

التقريف والنقد

الأرقام العربية ورحلة الأرقام عبر التاريخ

تأليف : سالم محمد الحميدة
تعليق : الدكتور عدنان الخطيب

صورها عبر القرون ، مقتنيا آثارها في هجراتها من بلد الى بلد ، متما بحته الطريف بشيء من تاريخ الترتيم عند الامم الخالية التي استعملت الاعواد ثم الحبال ثم الصور فالرموز للدلالة على العدد ، الى ان قَدَّم العرب الى العالم هذه الأرقام المنتشرة في جميع اصقاع الارض محتفظة بنسبتها اليهم لدى الناس كافة .

قام المؤلف بعرض لكل ما وجده في المصادر التي امكنه الحصول عليها ، عن نظام الترتيم عند الهنود خلال القرون التي مضت قبل ميلاد السيد المسيح ، وانعطف على تاريخ العرب القديم ليؤكد ان هذا التاريخ لم يسجل ما يعرف بنظام الترتيم لدى الشعوب العربية البائدة ، اما في العصر القريب من ظهور الاسلام فجميع المدونات التي عثر عليها الاثاريون حتى اليوم ، انما تعود الى مجتمعات بدائية ولا تعطى اية فكرة عن وجود نظام معروف للترتيم ، والدراسات على تلك المدونات لم تكشف عن ارقام بل كانت الاشارات فيها الى الاعداد مسجلة بالكلمات .

لقد استخدم العرب بعد قيام الدولة الاسلامية الاسلوب الشائع لدى الشعوب المتحضرة في ذلك الزمان المتمثل باعطاء كل حرف من حروف الابجدية قيمة عددية

قرا الاستاذ سالم محمد الحميدة ، وهو ضابط متقاعد من خريجي مدرسة الأركان ، ما كتبه المستشرقة الالمانية dr. Sigrid Honké ولفت انتباهه قولها :

[... كل الامم المتحضرة تستخدم اليوم الارقام التي اخذها الجميع من العرب ، ولولا تلك الارقام لما وجد اليوم دليل هاتف ولا قائمة اسماء او تقرير مصفق ، ولما وجد هذا الصرح الشامخ من علوم الرياضة والطبيعة والفلك ، بل لما وجدت الطائرات التي تسبق الصوت ، او صواريخ الفضاء .

لقد كَرَّمنا هذا الشعب الذي منَّ علينا بذلك الفضل الذي لا يقدر ، حين اطلقنا على ارقام الاعداد عندنا اسم «الأرقام العربية» . ولكن العرب انفسهم يؤكدون انهم قد اخذوا ارقامهم عن الهنود ، وهم يسمونها بـ «الأرقام الهندية» (1)]

ورأى الضابط الركن نفسه مندفعاً ، باعتزاز عربي متاجع ، للتحرك نحو جهة من البحث والاستقصاء بقصد كشف مواقع جديدة من المجد والفخر ليعلن عنها ويتشبه بها ، فأخذ يسلط الاضواء على مادونه التاريخ عن اميل الارقام واشكالها والتطور الطارئ على

* عن مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق الجزء الثاني ، المجلد الحادي والخمسون أبريل 1976 .

(1) انظر كتاب المستشرقة المذكورة المعين :

Allahssonne · Uber dem abendland unser Arabisches erbe

نقله عن الالمانية فاروق بيضون وكمال دسوقي تحت عنوان «شمس العرب تسطع على الغرب» بيروت

1964

تفى بحاجاتهم الى استعمال الاعداد ، وكان هذا الاسلوب عند العرب يسمى بحساب الجمل .

وتامت الدولة العباسية في العراق ، ومع بدء نقل معارف وعلوم الامم الاخرى اطلع علماء العربية على الاسلوب الذي كان الهنود يتبعونه في الحساب فراق لهم ، فانكبوا — على حد قول الاستاذ سالم — على الاشكال التي نقلت اليهم : «بالدرس والتهذيب واستخرجوا منها سلسلتين من الارقام ، اختاروا الاولى مبدئيا ، وهي المسماة بسلسلة الارقام الفبائية وهي التي سادت في اول الامر المشرق العربي ، ثم انتقلت من هنا الى سائر البلاد العربية الاخرى ، وقد ذكر اشكالها العالم العربي القلصاى (1) الانطلسي في كتابه «رفع الستار عن علم الفبار» . . . كما ذكر اشكالها ايضا ، ابو محمد عبد الله بن محمد بن حجاج الاوزنى المعروف بابن الياسمين المتوفى عام 601 هـ (2) .

ويقول الاستاذ سالم الحميدة اخيرا : « . . اما السلسلة الثانية فهي التي اطلق عليها العرب انفسهم اسم الارقام الهندية . . . ومن الجدير بالذكر ان اول من ألف كتبه بأرقام هذه السلسلة من العلماء العرب هو العلامة محمد ابن موسى الخوارزمي (3) » .

قال المؤلف الفاضل هذا الكلام ، وهو يعرف ان كثيرين ممن درسوا هذا الموضوع او بحثوا فيه او عرضوا له لا يقرؤونه عليه فصارع الى عرض آراء عدد من العلماء حول سلسلتى الترقيم الفبائية والهندية ، اذ يرى بعض هؤلاء ان كل سلسلة منها نشأت مستقلة ثم تطورت الى ان اخذت الصورة التي انتهت اليها ، ويرى آخرون

منهم ان السلسلتين كانتا رتقا فتقى بينهما التعديل والتهذيب ، حتى اصبحتا وكاتهما سلسلتان مختلفتان في منشئهما ، ويدعم هؤلاء رأيهم بهذا التشابه الكبير في اعداد السلسلتين (4) .

وانتهى المؤلف الى ان الراى الاخير هو السليم المقبول قائلا : «ان هذه النظرية تعيد سلسلة الارقام الهندية الى اصلها العربى المشتقة منه ، وهى مقاربة بدرجة كبيرة الى واقع هذه السلسلة واقرب الى الصحة من غيرها من النظريات ، وبذلك تظهر الاصلية العربية لهذه السلسلة رغم تسميتها بسلسلة الارقام الهندية (5) » .

توصل المؤلف الى الحقيقة المشار اليها ، رغم انه فوت على نفسه الاطلاع على مصادر هامة غير التي اثبتنا في نهاية كتابه ، منها المطبوع والكثير مازال مخطوطا ينتظر ، وقد يكون في مقدمة المطبوع كتاب «الفصول في الحساب الهندى» الفه في دمشق سنة 341 هـ (953 م) ابو الحسن احمد بن ابراهيم الاقليدسى (6) ، وهو اقدم كتاب في علم الحساب بعد كتاب محمد بن موسى الخوارزمى المتوفى بعد سنة 332 هـ (847 م) (7) .

ان كتاب الفصول في الحساب الهندى نشر عام 1973 ، مع مقدمة قيمة كتبها محققه الدكتور احمد سعيدان ، وهو يعتبر اليوم في طليعة المشتغلين بتاريخ علوم الرياضيات عند العرب ، وسبق له ان حقق عددا من المخطوطات في علم الحساب ونشرها في مجلة معهد المخطوطات التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وفي غيرها من المجلات (8) .

- (1) ورد اسم القلصاى في كتاب الاستاذ الحميدة بالواو تصحيحا وصحته كما فكرنا ، والقلصاى هو على بن محمد المتوفى سنة 891 هـ (1476 م) انظر اعلام الزركلى 5 : 163
- (2) ورد اسم الاوزنى مصحفا في ص 91 ، والكلام منقول عن مقال = للمرجوم محمد السراج نشرته مجلة اللسان العربى في الرباط سنة 1965 ، وفي الاعلام 4 : 269 : «ورد اسمه في فهرست الكتبخانة : عبد الله بن حجاج المعروف بابن الياسمين المتوفى سنة 600»
- (3) انظر ص 98
- (4) ان نظرة واحدة تلقى على الجدول رقم 14 المنشور مع هذا البحث تثبت صحة الراى المذكور ، وتؤكد ان منشأ ارقام السلسلتين كان صور حروف الابجدية العربية وليس الاشكال والرموز التي كان الهنود يستخدمونها ، كما يزعم الباحثون في هذا الموضوع دون دليل واضح ، كما انه ليس من دليل يثبت نظرية تقول بان ارقام الفبار قامت على تعداد الزوايا التي تحتويها صورة كل حرف .
- (5) انظر ص 101 من الكتاب .
- (6) صدر الكتاب في عمان ضمن منشورات اللجنة الاردنية للتريب والنشر والترجمة .
- (7) نشر كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمى بالعربية على مصطفى مشرفة واحمد مرسى بدر سنة 1937 بالقاهرة .
- (8) انظر المقدمة المشار اليها ومجلة معهد المخطوطات لسنتى 1963 و 1967

ومن العجب العجيب ان الضابط الركن الذى انتصر فى البحث عن الحقيقة وكشف عنها لقارئيه ، استسلم دون مقاومة لفكرة الاعتزاز بنسبة الافرنج للارقام الغبارية التى يستخدمونها الى صانعها العرب فوقع اسير اغرائها وانهى كتابه بدعوة غريبة قال فيها :

«... ومن حق هذه السلسلة من الارقام التى تحمل اسم العرب ، ان تعود للاستعمال فى بلدنا لتكمل سفارتها بين ظهرانيها ، كما هى قائمة بهذا الواجب خير تيام فى الامكن الاخرى من العالم . فاذا اعيد استعمال هذه الارقام فى بلادنا ، نكون قد وفينا حقاً علينا لهذا الوليد الذى رأى النور فى ربوع بلادنا (1) » .

فات المؤلف الفاضل ان امنيته الاخيرة تناقض ما انتهى اليه بحثه القيم فى اثبات ان كلا من الارقام الهندية والارقام الغبارية عربية النجار على حد سواء ، ومن الواضح لكل ذى عين ان اشكال الارقام فى كلتا السلسلتين مغايرة للاشكال الهندية الاصلية المتوهمة ، يؤكد حقيقة لا يشوبها شك فى : « ان العرب هم الذين وضعوا هذه الاشكال وهى بالنتيجة عربية تخص العرب وحدهم (2) » .

انا لست ادرى كيف سمح الاستاذ سالم لنفسه بأن يسجل فى ختام كتابه امنية ملؤها الاعتزاز بها صنع الاجداد ، ولكن لا ينجم عنها ان تحققت الاستبعاد مجد عربى دان اثيل ، ليحل محله ثقته البعيد المغرب ! ان الارقام هنديتها وغباريتها عربية فى مولدها وفى نشأتها ، ولكن الاولى منها اكثر جراحة ، وابعد انتشارا ، واشد التصاقا بالثقافة العربى والاسلامى ، وأوضح اثرا فى كبحز الخط العربى .

اخذت الارقام الهندية تنتشر وتتطور فى بلاد العرب والاسلام منذ القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) وكانت كشتيقتها الغبارية وليدة الحروف الاولى للابجدية العربية ، غير ان الغبارية لم تنتشر فى المغرب العربى الا بعد مئات من السنين ثم تسربت عن طريق الاندلس الى بلاد الفرنجة وفيها انتهت الى صورها الحاضرة .

ظلت احرف الارقام المشرقية سائدة فى مجملها

(1) انظر ص 134

(2) انظر ص 132

(3) هذان الجدولان جزء من بحث لما ينشر .

جميع بلاد المشرق العربى والاسلامى وتطورت مع تطور الحرف العربى وأنواع الخطوط العربية والفارسية والعثمانية مسيطرة بذلك لينة هذا الحرف وميزاته الانسيابية فى مختلف الخطوط المعروفة ، حتى انها اصبحت اليوم وبعد الف سنة من عمرها المديد جزءا من التراث العربى الاسلامى فى كتابة العربية ولفسات الشعوب الاسلامية من فارسية وعثمانية واردية وانغائية وشعوب اخرى ما زالت تكتب لغاتها بالحرف العربى ، وان اختلفت صور بعض الارقام من بلد الى بلد .

اما احرف الارقام الغبارية ، فلا شك فى اصلتها وجمال بعض الصور التى انتهت اليها فى مختلف بلدان العالم ، وهى تتلاءم كثيرا مع الخطوط المزواة وغير اللينة ، وقد يعطينا انتشارها فى دول العالم الكبرى عدة فوائد زمنية واقتصادية ، ونحسن فى عصر التقنية الالكترونية ، اذا ما عدنا الى استعمالها بدل الارقام التى نسميها بالهندية ، وهذا ما يتحسس فى الدعوة اليه كثير من اخواننا فى المغرب العربى ، اعتزازا باصلها العربى .

ولكن الدعوة الى استبدال الارقام الغبارية بالارقام الهندية دعوة لا تقوم على اساس سليم ، لان هذه الارقام جميعها عربية متطورة عن الحرف العربى نفسه ، كما يتضح بالقاء نظرة واحدة على الجدولين المنشورين مع هذه الكلمة (3) . وكل دعوة يكون هدفها هذا الاستبدال سوف لا تنجح ، مهما كانت بواعثها ، لانها تناقض منطق الارقام وواجب الحفاظ على التراث العربى الاسلامى ، وهو من مفاخر الحضارة الانسانية فى مشارق الارض ومغاربها .

عرض الرئيس كتاب لجنة الرياضة فى مجمع القاهرة المحال على مجلس الاتحاد من قبل مؤتمر المجمع والمتعلق باقتراح احلال الارقام الغبارية المستعملة فى المغرب العربى محل الارقام الهندية المنتشرة فى جميع بلاد المشرق العربى بحجة ان الاولى هى الارقام العربية الاصل .

ذكر الدكتور عدنان الخطيب ان الابحاث دلت على عربية ما يسمى بالارقام الهندية مثل الارقام الغبارية فضلا عن ان تلك الارقام اصبحت جزءا من تراثنا المجيد متلائمة مع انواع الخطوط العربية الشائعة فى مختلف بقاع العالم العربى .

أجته علماء والعربية في الحساب بنات الفرق الأربعة (التي هي جميع المعين لاد) يستعملون بها الجمل اسامون بجانب الهند الحسابي
وظهور في صور الكون التي سرزالي الوعد والتمنى على هدي بين كبره والذين سألوا إلى سلطون يتابعون - ومنه أن يكون في دفع الحساب هو علمه الذي في الهندية ثم هو (الاقام الحديث)

[illegible]

التعريب والإصطلاح *

للدكتور

أحمد عبد الستار الجوّاري

به من مفاهيم وأفكار جديدة ان ملاحقة ما يصدر من تلك المفاهيم والمسميات يقتضى عملا دائما متصلا لا يفتر ولا يتوانى ولا يتوقف بحال من الاحوال . ولذلك تراهم يشكون من تباطؤ الهيئات والمؤسسات العلمية ولاسيما الجامع اللغوية التى هى المسؤولة أولا واخيرا عن اللحاق بركب التقدم العلمى فى العالم حتى لا يلقي على اللغة العربية جريرة التخلف والعجز عن استيعاب العلوم والفاظها ومفاهيمها ومصطلحاتها .

وكثيرا ما يشكو هؤلاء من اختلاف الاقطار فى وضع مصطلحات العلوم او تعريبها على الاصح ، وينادون فى لهفة ونفاد صبر بلزوم العمل على توحيد المصطلح وتلاقى الجهود المشتتة بين الاقطار العربية وتوجيهها وجهة واحدة حتى لا تتبلبل الافكار ويضيع الدارسون فى تيه من السبل المتفرقة .

ومعلوم ان تفرق السبل يأتى من تفرق الاجتهاد وتنوع اساليبه والاسس التى عليها يستند . فمن الناس من يجعل المعاجم وما بين دفتيها من الفاظ جل وكسده وغاية همه ويرى فى الخروج عليها عبثا باللغة وافتثا على اصولها .

ومنهم من يذهب الى ان الفاظ العلوم الحديثة جديدة على العربية طارئة عليها فلا يعقل ان ينقب عما يقابلها فى المعاجم . حتى اذا وجد ذلك وجده بعيدا عن اذهان المتخصصين والدارسين ، بعيدا عن القدرة على

قد يتسائل كثير من الناس ماذا نصنع تجاه هذا السيل الغزير المتدفق من مصطلحات العلوم فى فروعها المنعددة وميادينها المختلفة ؟ انلجأ الى قبول الالفاظ كما هى فى اللغات الاجنبية اكتفاء بها ودفعنا لمشقة البحث عما يقابلها فى العربية ؟ ام نعود الى المعاجم نستنبط منها الفاظا قريبة فى معانيها من معانى تلك المصطلحات او موصولة الاسباب بتلك المعانى ونسو على سبيل الدلالة المجازية ؟ ام نتحرى الفصاحة والاصالة ونلتمس فى قديم الالفاظ ومهجورها ما يتصل بتلك المعانى ولو باوهى الاسباب .

اسئلة يطرحها كل يوم واقع الحياة الفكرية المتجددة التى يتسارع سيرها حتى لا يكاد التأمل والتفكير يلاحقها او يلحق بها .

وفوق كل ذلك يقوم سؤال كبير خطير الدلالة والايحاء .

هذا السؤال هو : كيف يمكن للعربية ان تبرز للحياة الفكرية المعاصرة فتستوعب ما تطلع به من جديد كل يوم ؟ وكيف يمكن العمل على اثراء الفكر العربى بالمفاهيم الجديدة ومدلولاتها ومعانيها بأن يوضع لتلك المفاهيم الفاظ عربية يحس معانيها ويدرك مدلولها ، العربى الذى يتحدث العربية سواء كان مختصا معنيا بالعلم ام كان آخذا بحظ من الثقافة العامة ؟

يقول الذين يتبعون ما يكشف عنه العلم وما يطلع

* عن مجلة المجمع العلمى المراتى المجلد السابع والعشرون 1976 .

النفاذ في صميم الفكر العلمي ، عاجزا عن أن يفرض نفسه على الناس بديلا للمصطلح الاجنبى . وبين هؤلاء وأولئك تضيق على الفكر العربى فرص ثمينة وتزداد مشكلات التعليم بالعربية تعقيدا على تعقيد .

لابد اذن من وسيلة أو وسائل يحل بها هذا التناقض ويبلغ بها المعنيون بأمر المصطلح العلمى محجة واضحة لاختلاف على الالتزام بها والالتقاء في رحابها بدءا وانتهاء .

ولابد لهذه المحجة الواضحة من معالم شاخصة يهتدى بها السالكون . ولعل من أهم هذه المعالم أن يكف الاساتذة المختصون باللغة عن اثار الحوشي من الالفاظ مما لم يُعَد له في الحياة الفكرية المعاصرة مكان ، وأن يعمدوا الى ما يسهل النطق به على الدارسين وما يصل من حياتهم العقلية وحياتهم الحضارية بسبب ، وفي ذلك اقتصاد في الجهد وتأكيد للبقاء والامتزاج بالفكر . لان الفكر اذا استوحش لفظا أو عبارة فانه لا يلبث أن يحاول نفيها والتخلص منها ، فاذا اتحت عليه فقبلها ؛ قبلها كارها لها غير مرحب بها وغير انيس بصحبته .

واللفظ الانيس سريع الوصول الى الفكر تسهل عليه العشرة وتلد بها الصحة ، ولنا في ما اصطلح عليه الكتاب الحكيم من الفاظ في العبادة كالصلاة والزكاة والبر والصدقة ، وفي التشريع كالمعتود والمواثيق ونحوها ، احسن اسوة في تخير الالفاظ التى يسيفها اللسان ويانس بها الفكر .

ولقد عاشت تلك الالفاظ وخلدت حتى اصبحت جزءا من حياة الناس سواء في ذلك من اتخذ منها طريقا للحياة ام لم يكن كذلك .

ومن أهم تلك المعالم ان يعمل واضعو الاصطلاح الى اساليب في اثناء اللغة واغنائها بأبنية جديدة لا ياباها البناء العربى للالفاظ وان لم ترد بمعانيها الجديدة في معاجم اللغة وفي مظاتها الاخرى .

وبيان ذلك ان الفاظا في اللغات الحديثة تشبه في بنائها وترتيب حروفها أبنية عربية وردت لمان أخرى بعيدة عن معانيها أو قريبة . مثل لفظ (الكادر) الذى لم يعد ممكنا استبعاده من الاستعمال أو استبدال لفظ آخر به للدلالة على ما يدل عليه من معنى . مادته اللغوية موجودة ولفظه لا ياباها اللسان العربى ولا تنبو عنه الاذن ولكن مدلوله ومعناه شئ آخر مختلف عن

معناه في العربية . ماذا يمنع المعاصرين من أن يضيفوه الى الفاظ الحضارة الحديثة ولو عملا بقول القائل :
« اذا كنت مأكول الطعام فرحب »

ومثل ذلك لفظ (الكبينة) للدلالة على الحجرة الصغيرة التى تقام لحاجات معروفة ككبينة الهاتف وكبينة الاستعلامات ونحو ذلك . وأمر هذه اللفظة أهون وأيسر فان مدلولها اللغوى قريب من المدلول السدى تستعمل له في أيامنا هذه ، ومثلها المكينة .

واذا كانت العربية قد عرفت في عصور ازدهار الحضارة ما يقال له المولد من الالفاظ فان هذا العصر وما يجد فيه أولى وأجدر بأن يحمل أهل اللغة على توليد الالفاظ مما لا ياباها البناء العربى للالفاظ ، فيكون في ذلك اثرأ للغة ومواكبة لما يستحدث من مفاهيم في العلم وفي سائر فروع الحياة والحضارة .

على أن ثمة أمرا آخر يشير الى مقدار ما تركت العربية من آثار في اللغات القديمة كالاغريقية واللاتينية . فان كثيرا من الالفاظ والاصطلاحات العلمية قد نقلت عن العربية الى هاتين اللغتين وصار الذين أخذوها من أهل اللغات الحديثة ينسبونونها الى الاغريقية أو اللاتينية وهم يجهلون الاصل الذى اليه تعود .

من هذه الكلمات ما يعرف في علوم الطب والوراثة — (Gyamate) وهو عنصر الاخصاب في مادة التناسل . ومن العجيب ان معاجم اللغات الاوربية تنسبه الى الاغريقية . والعجب ان لفظ (تمط) يستعمل للدلالة على هذا المعنى حتى في اللهجة العامية العراقية . ومن يرجع الى المعاجم العربية يجد التمثيط بهذا المعنى العلمى أو قريبا منه . وهو لهذا جدير بأن يأخذ مكانه في مصطلحات العلوم .

ومثله في هذا الباب الفاظ عديدة يكفى ان يلتقى فيها البناء اللفظى في اللغة الاجنبية مع مثيله في العربية . كالنقرة (Nicrosis) والاكمة و (Acme) للدلالة على نفس معانيها أو قريب من تلك المعانى . ولا غبار على هذا الاسلوب في التعريب فقد قال اسلافنا قولتهم المشهورة (لا مشاحة في الاصطلاح) .

ان ثمة حقيقة ماثلة شاخصة لا سبيل الى التغاضى عنها وهى ان اللغة العربية لغة شقيقة كبرى من الوجهة الحضارية والثقافية والفكرية للغات الاسلاوية كالفارسية والاوردية والتركية وامثالها مما تنطق به

اسلوب العمل حتى تتدارك ما فات وتلحق ان شاء الله بها هو آت .

وعليها ان تتجنب ما توغر سبيله على الدارسين وما استثقلته الالسنه وعافه الاستعمال من غريب اللفظ وحوشيه . وان لا تؤثر ما يؤثره بعض المتخصصين من نقل الالفاظ الاجنبية كما هي ضنا بالجهد في البحث عن الفاظ عربية سائفة مقبولة بل صدودا عن مزايا العربية وقدراتها في الاشتقاق والتصريف وفي اتباع سبيل السلف في اخذهم بأساليب موفقة كل التوفيق في اكتشاف المصطلح كاضافة السوابق واللاحق واستعمال المصدر الصناعي باضافة ياء النسب متبوعة بهاء التأنيث . فقد قالوا اللانهائية والقدرية والجبرية ونحو ذلك كثير .

ان جهودا قيمة في هذا الميدان قام بها ويقوم بها المختصون من الجمعيين وغيرهم ، لو جمعت لخرج منها ثروة فكرية واسعة ضخمة ، ولو ان هؤلاء الاماضل تلاقوا على اساليب العمل واهدافه وضموا الجهود بعضها الى بعض لقدموا الى الفكر العربي خدمة جليلة .

ولو انهم عمقوا الشعور بالحاجة الى المصطلح العربي ليكون اداة العمل العلمي العربي المعاصر لبلغوا من هذا الامر فوق ما بلغوا حتى الآن . واذا صدق العزم وضع السبيل .

شموب اسلامية يتلى فيها كتاب الله العزيز آتاء الليل واطراف النهار . وهذه اللغات تنظر وتنتظر ما يفعله العرب بالاصطلاحات العلمية حتى تفسح له في لغاتها مكانا ومجالا للتداول والاستعمال . وأى تباطؤ أو تلكؤ أو اهمال يصرف هذه اللغات الشقيقة الى اللغات الاجنبية . وهي قد تكون اقرب اليها نسبا ولكن العربية قد اصبحت جزءا منها فكرا وعقيدة وثقافة وحضارة .

وبعد فان الاصطلاح العلمي ما عاد امره مقصورا على المختصين في ميادين العلم والمعرفة ، لغة يרטنون بها في معزل عن المجتمع الواسع الذي يعيشون فيه . ويمارسون فيه علاقات انسانية فكرية وشمورية ، وهو يتسم اليوم بالفتح والانطلاق ويأبى على اهل العلم والمعرفة ان يكونوا طبقة متميزة محدودة الصلة بمن حولها من الناس . وصار لزاما عليهم ان ينهضوا بجانب من تبعات الثقافة العامة التي يتشوف اليها كل مواطن اصاب حظا من التعليم العام يتطلع من خلاله الى الاحاطة بها يدور حوله في هذا العالم من تقدم العلم والتقنية الحديثة .

واذن فان قضية التعريب والاصطلاح وظيفية علمية اجتماعية لابد ان تحظى بالناية اللازمة والاهتمام الكبير . ويحسن بالجامع اللغوية بل يلزمها ان تتذكر هذا الامر المهم لتقيم اساسا لعمل موحد وترسم

بَعْضُ الشَّوَابِ فِي النُّحُو

لِلأَسْتَاذِ عَبَّاسِ حَسَنِ
عُضْوِ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ

على أغلى مقومات حياتهم ، وإن يخطوها بسياج متين
من اليقظة الدائبة ، والحيطة الوافية ، والتضحية
الغالية ، حملت التاريخ الأمين أن يسجل لهم في أسمى
محائفه مالم يسجله لغيرهم من القدامى ، ويكون
عنهم مالم يكونه لسواهم .

لقد قضى هؤلاء وما انتضى فضلهم ، وغابوا عنا
وما غابت مآثرهم ولا انقطعت آثارهم ، فقد خلفهم
أعلام اهتموا بهديهم ، وسلكوا المحجة على نور منهم
وارشاد . ومن هؤلاء الاخلاف نحائنا السابقون ، جزاهم
الله خير الجزاء بما قدموا واحسنوا واخلصوا لدينهم
ولغتهم وعروبتهم .

أيها السادة :

ليس من شك أن التراث النحوي نفيس غاية
النفاسة ، وأن الجهد الحميد الذي بذله رجاله
والقوامون على اعداده ورعايته جهد لم يهيا لكثير من
العلوم القديمة ، ولا يقدر على بذله واحتمال بعض
اعبائه حشود من الثرثارين العجزة الذين يساورون
عجزهم وقصورهم بغمز النحو ، وطعن السابقين من
أئمة الانفاذ ، وما أنا بسبيل الكلام عن فضل النحو ،
وتبيان آثاره في حياتنا اللغوية ، والدينية ، والحضارية
فهو من هذا كله الدعامة الاولى ، والقانون الاعلى ، منه
تستمد العون ، وتستلهم القصد السوى ، وتُهرَّع اليه
في جليل شؤونها ، وجوانب حياتها ، ولن تجد علما من

أيها السادة :

تحية الله وبركاته عليكم ، وخالص الدعاء أن
يكتب لكم التوفيق الاسمى فيما أنتم بسبيله . وأنتهز
الفرصة لازجي صادق الود ، وبالحق التقدير لآخوان كرام
قدموا علينا فامتلات القلوب انسآ بهم ، وانتشت الافئدة
سرورا برؤيتهم ، وتحركت وشائج قرى اميلة ، وروابط
مودات لا تزيدها الايام الا قوة وخلودا .

ولأمر ما وسرّ كل من يلتقى العربي اخاه العربي
فيبتدق وجهها غبطة وانشراحا ، وتفيض جوانب
نفسها بالارتياح والثقة والاطمئنان ، على حين يلتقى
غير العربي — وإن كان صديقا وفيّا ، وزميلا مشاركا في
نماء الحياة ويؤسها — فيهبش كلاهما للآخر ويكتفى من
مظاهر الفرح بهذا ، فشتان بين لقاء ولقاء ، وما
اوسع البون بين هذا وذاك ، فهل لخبراء النفس ،
وأعلام الطب ، وحذاق الفهم أن يكشفوا لنا عن هذا
السر الكامن الذي تزداد قوته على الدهر ، وتنمو على
الايام خصائصه ؟ ولعلكم تسمحون لى بالجواب الى
أن يأتيانا منهم فصل الخطاب .

ان الاجابة تنحصر — أو تكاد تنحصر — باللغة
التي تؤلف بيننا ، وتجمع شتاتنا ، وتربط قلوبنا برباط
من الصلة الدائمة ، والحب المقيم . فلم يكن عجيبا من
اسلافنا — اجزل الله ثوابهم — أن يسهروا على خدمتها
سهرهم على اعز نفائسهم ، ويحرصوا عليها حرصهم

(*) عن مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة للدورة الخامسة والثلاثين 1968 — 1969 .

علومها يستقل بنفسه عن النحو ، أو يستغنى عن معونته ، وارشاده ، ولا سيما علوم الدين ، والوصول الى مراقي الاجتهاد ، ولله ابن التبري حيث يقول في الفصل الحادى عشر من كتابه : «لعمري ما نصه : «ان الائمة من السلف والخلف اجمعوا قاطبة على ان النحو شرط في رتبة الاجتهاد ، وان المجتهد لو جمع علوم العربية لم يبلغ مرتبة الاجتهاد حتى يعلم النحو ، فيعرف المعاني والاحكام التى لاسبيل لمعرفة بغيره ، فرتبة الاجتهاد متوقفة عليه ، لا تتم الا به» اهـ . ايها السادة :

لا يزهينا الثناء المردد على النحو ، ولا ينسينا ما داخله من شوائب اساعت اليه . ولست الساعة بمسبيل حصرها ، واستقصاء ما تراكم منها . ولكنى اكتفى بالترجيح الى ثلاثة من كبارها كان لها ابرز الاثر فيما اصاب « النحو » من سوء ، وناله من مغامر .

واولها : ما يسمى في عرف النحاة «بالجهور» يطلقونه على الكثرة الكاثرة من نحاة البصرة ، وتقابله القلة المغلوبة التى اشتهرت بينهم كذلك باسم : «الكوفيين» ، او «الكوفية»

وثانيها : ما ابتدعوا و اوغلوا فيه من التاويل . والحذف ، والتقدير ، حتى استباح لنفسه امام منهم ان يقول : «لولا الحذف والتقدير لفهم النحو الحمير» . ويلفت بهم الجراة ان يطبقوا هذا على القرآن الكريم في كثير مما خالف قواعدهم ، وخرج على ضوابطهم .

وثالثها : حال المشغلين بالنحو منذ القرن الثالث الهجرى حتى اليوم ، وموقفهم من انفسهم ومن هؤلاء . على ان هذه المناكر الثلاثة مترابطة متداخلة لا تكاد تنفصم ، وسأشير الى كل منها اشارة موجزة مفيدة ، وأومئ اليها ايماءة تكشف القناع عن سوء آثارها .

فأما البصرة والكوفة فلا يعينني من تاريخهما الا نشأتها الاولى في القرن الهجرى الاول ، وان ميلاد البصرة اسبق من ميلاد اختها ببضع عشرات من السنين ، وانما فازت بالخطوة لدى خلفاء بنى العباس ولقد استرعى انتباهي وشغلني طويلا أن أرى البصرة تنوز في كثير من المسائل النحوية بالتنويه ، والاشادة ، والتقدير ، ولو كانت ابعد من الصواب . على حين تخفق الكوفة في انتزاع التنويه والاشادة في تلك المسائل ،

مع انها في حكمها ادنى الى السداد واقرّب الى الصواب . راغنى الامر وعجزت عن ادراك سره طويلا حتى هدانى اليه ، وكشفه لى عالم مؤرخ جليل اقدر فيه انه ثبت العلم ، متحر في حقائقه ، فقال : لا تنس ان الكوفة كانت مأوى الشيعة العلوية ، ومهبط انصارها ممن يخشاهم العباسيون اول نشأة دولتهم ، ونشأة النحو معهم ، ويخافون تالبيهم ، فراقبوا تلك المدينة ، اصحاب الراى فيها مراقبة حازمة بطريقة ناجحة ، ولكنها هادئة . هى الاغداق على اهل البصرة وذوى الراى والوجاهة من علمائها الاعلام وتقريبهم من مجالس الخلفاء ومراتب الحكم والجاه . فاقبل الناس على من اقبلت عليه الدنيا ونشروا آراءه بالحق وبالهوى ، وانصرفوا عن اعرضت عنه الدنيا ، فما اليه حاجة تبتغى ، ولا غرض يرتجى تحقيقه .

هذا ما يقوله المؤرخ الامين يفسر به الغامض ، ويجلو الخفى من الامر . وسواء اكان رايه تعليلا صحيحا للواقع أم بعيدا منه ، لا شك أنا نشهد اليوم آثار الطغيان البصرى في كتب النحو قديمها وحديثها ، فما نكاد نقرأ بابا من ابوابه على كثرتها وتشعب مسائلها حتى نصدم بمثل قولهم : «هذا راى الجمهور» ، وهو الصحيح ، خلافا للكوفيين» — «هذا راى البصريين» ، وخالف الكوفية» — «هذا راى الجمهور وعليه الممول» وامثال هذه العبارات التى اكتفيت بما عرضته منها . نزولا على ضيق الوقت ، ومراعاة للمقام كما يقولون . وحسبى ان اعرض صورا تؤيد دعواى ، واتوصل بها الى ايضاح ما اريد :

(أ) فمن الامثلة ما جاء في التوضيح وحاشيته ويكاد يكون نصه : « : يجب نصب المستثنى بالا في لغة الجمهور اذا كان الكلام تاما موجبا ، كقوله تعالى : «فشربوا منه الا قليلا منهم» ولا يجوز رفعه الا بتاويل . ومما تناولوه بالتاويل قراءة من قرا قوله تعالى : «فشربوا منه الا قليل منهم» برفع كلمة «قليل» وقوله عليه السلام : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة الا امرأة ، او مسافر او مريض) ، وقوله عليه السلام : (ما للشياطين من سلاح ابلغ في الصالحين من النساء الا المتزوجون) ، وكقول أبى نواس في مدح الامين .

ياخير من كان ومن يكون الا النبى الطاهر الامين — واردفوا هذا البيت بقولهم : ان ابا نواس يستعمل في شعره مذهب الكوفيين كثيرا وهذا من جملة مذاهبهم — وقول الشاعر :

وبالصريمة منهم منزل خَلَقَ

عافٍ تغير الا النوى والوتد

وقد تناولوا هذا البيت بما تناولوا به الآية السالفة - وغيرها - من التأويل الذى يجعل الكلام تاما منفيا لا موجبا - كى يصلوا من وراء هذا الى اعتبار الكلام تاما غير موجب ، فيجوز فيه الرفع والنصب ، وان المراد من الفعل : «تغير» فى البيت هو : لم يبق حاله ، وبهذا صار الكلام تاما غير موجب كما يشتهون . ويروفتى ما سجله بعض المحققين المثبتين ردا على تأويلهم السالف حيث يقول : «لاشك ان كلامهم مردود ، وتأويلهم بعيد بل فاسد ، اذ يمكن تطبيقه على كل كلام تام يجب نصبه . بيان هذا : ان كل كلام مثبت لا بد له من ضد غير مثبت ، فمعنى «تعلم الرجل» : لم يجهل ، ومعنى «جهل» : لم يتعلم ومعنى «تحرك الطفل» لم يسكن ، ومعنى «سكن» : لم يتحرك ، ومعنى (شرب) لم يفقد الماء ولم يظمأ ، ومعنى «فقد الماء» ما شرب ، ، وهكذا . . . فلو أخذنا برأى هؤلاء النحاة وفتحنا باب التأويل لم يبق فى الكلام العربى أسلوب مقصور « على التمام مع الإيجاب » دون ان يصلح للنوع الثانى ، وهو « التام غير الموجب » وهذا غير مقبول .

والحق الذى لم يتنبه له كثرة النحاة ان الآية والامثلة السالفة واشباهها مما وقع فيه المستثنى غير منصوب فى الكلام التام الموجب ، انما ورد صحيحا مطابقا للغة بعض القبائل العربية التى تجعل الكلام التام الموجب والتام غير الموجب متماثلين فى الحكم ، يجوز فيهما اما النصب على الاستثناء ، واما البطل من المستثنى منه ، واما الرفع على الابتداء ، ، فلا معنى للتأويل بقصد اخضاع لغة قبيلة للغة نظيرتها . واذا كان التأويل معيبا وواجبا الفرار منه جهد استطاعتنا فان الانسب اليوم لنا ان نتخير عند الضبط الاعرابى للغة الضاربة فى الفصاحة الغالبة الشائعة بين اللغات المتعددة ، لنقتصر عليها فى استعمالنا ، تاركين غيرها من اللغات واللهجات الاعرابية الضعيفة او المعيبة ، توجيدا للتفاهم ، وفرارا من البلبلة الناشئة من تعدد اللغات واللهجات بغير حاجة ماسة ، فعلينا ان نعرف تلك اللغات الضعيفة فى مناسباتها ويستعين بها المتخصصون على فهم النصوص السواردة بها دون محاكاتها فى ضبط الحروف ، او القياس عليها ، بالرغم من انها صحيحة يجوز محاكاتها ، لان كل ما قرئ به القرآن يصح محاكاته» ١ هـ .

فالآية عندهم مؤولة ، والاحاديث مؤولة ، والشعر مؤول . والكلام نثره ونظمه مؤول ان خالف قاعدتهم . و عجيب ان يخضعوا الكلام المخالف كله لسهام التأويل والحذف والتقدير دون ان يصححوا قاعدتهم لتساير أفصح الكلام وفصيحه ، ويتحمل الباحثون والمتعلمون من العناء والبلبلية والاضطراب ما لا خير فيه ، بل ما فيه الضرر واضع ومع هذا نبقى عليه ونرده منذ عشرات القرون . ولا نجد من يقف فى طريقه ليصده ويحول بينه وبين الذبوع والانتشار .

(ب) مثال آخر - وما اكثر الامثلة - يقول النحاة لا يصح ان يتصل بآخر الفعل علامة تثنية او جمع اذا كان فاعله اسما ظاهرا ، وما ورد مخالفا لهذا بمؤول كقوله تعالى : «وَعَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ» وقول الشاعر تولى قتال المارقين بنفسه وقد اسلماه مُبْعَد وَحَبِيم

وقول الثالث :

نصروك قومي فاعتززت بنصرهم
ولو انهم خذلوك كنت ذليلا

وقول الرابع :

يلوموننى فى اشتراء النخيل

ل اهللى فكلهمو يعذل
كل هذا وامثاله مؤول عندهم لمخالفته قاعدتهم ، اما هى ثابتة ركيئة لا تتأول ولا تتحول .

(ج) وفى النحو باب عجيب يسمى : «باب التنازع» له من اسمه أو فى نصيب تشير فيه الى قولهم : « قام و تكلم محمد » ، لا يصح ان يكون الفاعل للفعلين معا هو محمد ، وخالف فى هذا فريق - يتصدون الكوفيين اما لماذا لا يصح فكلام بادى الوهن .

(د) ويقول ابن هشام ان جموع التكسير سماعية كلها ، ولا يلبث بعد كلمات من حكمه هذا ان يبين المطرد منها وغير المطرد ، ويصف مفردات تلك الجموع المطردة . فإى تناقض هذا بين حكمه وعمله . وما زال كثير منا يجاريه فى هذا الحكم الخاطيء .

ويقول ابن هشام ايضا إن «منعولا» لا يجمع قياسا على «مفاعيل» وأن «قَعْلًا» صحيح العين لا يجمع قياسا على «أفعال» وما ورد من ذلك نشاذ . مع أنه عرض من هذا الشاذ لكل نوع

ما يزيد على العشرة ، وعرض غيره ممن جاء بعده عشرات ، وما زال كثير يتابعه ويقدم ما قاله بغير حق ولا سداد .

هـ) ويقول ابن مالك في « الفيتة » : « ونعتوا بمصدر كثيرا » ، فيجىء شارحه الأشموني ويقول : مع كثرته مقصور على السماع . فكيف يصح الحكم بأنه كثير ومع كثرته مقصور على السماع ؟

و) ويقول ابن مالك أيضا :

نعل قياس مصدر المعدى

من ذى ثلاثة ، كرد ردًا

فيقول سيبويه : هذا مقصور على السماع الوارد لا يجوز مخالفته ، فان لم يرد للفعل مصدر مسموع لجأنا للقياس . فهل هذا مما تقبله العقول المفكرة المثبتة ؟

وبعد . فما الذى أبغيه من كل ما سلف ؟ أريد أن أقرر باب الاجتهاد اللغوى مفتوح ، والدخول منه ميسور لمن شاء مادام مسلحاً بنور العلم ، وسداد الراى ، والبعد من الانراط والتعريط ، والميل الى التيسير في غير انفساد ولا تجر ولا جمود ، وان نحرّم التأويل في كتاب الله بغير حاجة ملحة تدعو الى التأويل . ومن العجائب أن نؤمن عن يقين واطمئنان أن القرآن الكريم أسمى لغة بيانية عرفتها البشرية فاذا حاكاه الاديب والمثقف حكمنا على المحاكاة أحياناً بالخطأ في بعض مناحيها . فان دافع المتكلم عن نفسه وقال انى احاكى القرآن وأسير على نهجه كان الجواب : « القرآن مؤول أما أنت فمخطئ » فهل يخطئ من يحاكى القرآن ؟ وإذا ساغ لهم تأويل القرآن فليستسيغوا تأويل غيره من باب أولى دون تخطئته مع ثبوت محاكاته .

لسنا اليوم بالبصريين ، ولا الكوفيين ، ولا غيرهم من نحاة المشاركة والمغاربة وليست الدواعى التى كانت قائمة اذ ذاك ببياتية اليوم ، وليست الدوافع التى تدفعنا الى التجديد والتنقيح والتيسير حيناً والتشدد حيناً مما يهمل امره ، او يغفل شأنه . فعلينا واجب يفرضه الحسب للفتنا ، والحفاظ عليها ، والاخلاص لبلادنا ومتعلينا ، هو : أن نخلص النحو من شوائبه في غير تسرع ولا تخلف ، وان نقضى على ما ذاع وشاع مما أسأنا فيه فأسأنا الى اللغة تبعاً لذلك ، كالذى تردده بعض الالسنه من مثل : (في ضبط هذه الكلمة قولان او اقوال) (هل

المعنى نزع الاعراب ؟ هل الاعراب نزع المعنى ؟) (حروف الجر ينوب بعضها عن بعض ، وكفى) (في الكلام تضمين) الى امثال هذه الشائعات التى انسدت علينا جوائب من سلامة الاسلوب ، اذ لم يتضح المراد الحق منها لكثير ممن يتشدقون بها ، ولم يتبين اهم الغرض الصحيح الذى رمى اليه مبتكروها .

علينا ان نعرض قواعد النحو على القرآن الكريم ، والصحيح من احاديث الرسول ، والفصح من كلام العرب ، دون اعتبار لتعيم او قيس او غيرها من القبائل الستة التى اقتصر جامعوا اللغة عليها مع ما فيها من تخالف وتعارض وزاد الامر اساءة انهم تركوا القبائل الكثيرة الاخرى مقتصرين بغير حق على تلك القبائل الست المتخالفة ، وكان من جراء هذا وذاك البلبلة النحوية التى نشاهدها اليوم ، وان نأخذ بالخطأ الحكيمه البارعة التى اختطها احد المحققين من ثقات الباحثين ونلخصها في الانتصار في ضبط الحروف ضبطاً اعرابياً على ما ورد في القرآن الكريم وفي المراجع السالفة ، وفي الثابت من كلام القدماء ، دون ان نسمح بتمسدد الضبوط الاعرابية في الكلمة الواحدة ، ودون ان نطلق عليها الا اسماً اصطلاحياً واحداً . فمن الانفساد ان نقول ان هذه الكلمة تصلح ان تكون حالا ، وتبنيذا ، ومفعولاً مطلقاً ، ومفعولاً به ، او معه ، لا يصح ان نقول هذا ؛ لما فيه من اهدار لمهمة خاصة يؤديها كل نوع على انفراد والغاء لفائده التى يتميز بها ، والمراد الحق منه . وليس بعد هذا فساد واضطراب .

أما متن اللغة الذى يشمل مفرداتها ومادتها فلنا ان نأخذ منه ما نشاء من هذه القبيلة ومن تلك ، دون توقف او تردد ، ففى هذا الاخذ الحر المسموع عنهم اثراء اللغة ، وتمكين لها ، وزيادة محمودة طيبة الاثر .

ايها السادة :

من اجدر بتحقيق هذا الامل وانجاز الخطه القويمة الجديرة به او بما يماثله من حكيمة الخطط وبارع الابتكار ؟ انهم علماء مجامعنا الاعلام ، وسدنة لفتها الاماذاذ واليهم تتجه العيون والقلوب . بهذا يضيفون الى فضل التداى فضلاً جديداً لا يجحد ، وخالداً لا يمحي .

كان بودى ان أعرض لكثير من الشوائب الاخرى كلفة النحاة ، وجدلهم في مجالسهم ، ووهن حججهم وادلتهم ،

ولكن فى غير مكاته ، والاطالة فى غير افادة ، والاستطالة
على الواقع بهرج القول وخادع الكلام .

وفق الله المجامع ورجالها الى مثابه صون اللغة
ونقاؤها على الايام خالدة ناهضة . والسلام على من
اتبع الهدى .

وما يتخللها من الفاظ واشارات ، ولكن الوقت سواق
حطم ، يدفعنى الى النهاية ، ويابى المزيد . ولا يفوتنى
وانا اشير الى تعليقاتهم التى تورث العلة احيانا — ان
ادعو القارئ لمقابلة كتاب «كالانصاف فى اسباب الخلاف»
لابن الاتبارى ، او كتاب «الروضة» ، ، ، ليقرا ويشهد
ابرع انواع المنطق ولكن فى غير موضعه ، الراى المحكم



التعريب ضرورة في الجامعات العربية

للدكتور
عبد الوهاب محمد عامر

استاذ مساعد بكلية الهندسة — جامعة القاهرة (*)

ظهور انتاج علمي غزير مكتوب بلغة عربية سليمة عم
ارجاء الدولة الاسلامية العربية .

والتاريخ زاخر بالامثلة التي تمثل نمو الحضارات
بفضل نقل العلوم والمعارف من لغة الى اخرى . ولا
يقتصر الامر عند ذلك بل يتعداه الى ان الدول المتقدمة
في عصرنا هذا ما فتئت تمارس نفس العمل كما هو
الحال في الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي ،
حيث يترجم كل من الآخر بنشاط وحماس شديدين
المراجع الهامة والمجلات والدوريات العلمية اولا بأول
كما لا يخفى على احد مايسمى «برنامج اسراييل
للترجمة العلمية» .

ولما كانت الجامعات في عصرنا الحالي في مقدمة
المؤسسات التي تحمل على عاتقها مسؤولية نشر وتطوير
العلم والمعرفة فان موضوع الترجمة يمسها عن قرب .
والموضوع المطروح للبحث هو : هل ينبغي للجامعات
في الدول التي تكافح من اجل ان تحتل مكانها المناسب
ان تستخدم لغات الدول المتقدمة ؟ ولا شك ان هذه
القضية تثير جدلا طويلا حيث انه لكل من النفي والايجاب
مايؤيده من دلائل وحجج ، غير ان الامر يحتاج الى
بحث عقلاني بعيد عن الانفعال والتعصب مع الاخذ في
الاعتبار المكسب والخسارة في الحالتين على المدى
الطويل . ولقد تصدى لهذه القضية في السنوات الاخيرة
الامراء والهيئات في الوطن العربي ، فنشرت البحوث

في القرن السابع الميلادي قال الرسول العربي
«فضل العلم خير من فضل العبادة» ، كما قال عليه
الصلاة والسلام «يوزن يوم القيامة مداد العلماء بمد
الشهداء» . ومصادر الاسلام زاخرة بالحث على طلب
العلم والحض على مواصلة البحث والرفع من منزلة
العلم والعلماء . ولقد ظهرت هذه المبادئ في مجتمع قبلي
متزمت احدثت فيه هزة عنيفة وجعلت منه مجتمعا خلاقا
يؤمن بالروح والمادة في آن واحد ، ويتفكر في ذاته وفي
كل ما حوله ، ويرجع كل سبب الى مسبباته . وقد
ساعد ذلك على التحرر من القيود والمعوقات مما ادى
الى خلق المناخ الملائم للانطلاق الفكري . ولم تنشأ
العلوم الوضعية في صدر الاسلام من فراغ او بحكم
الصدفة ، وانما تم ذلك تمشيا مع خطة ثابتة تبين
بوضوح دور كل عامل من العوامل المختلفة واثره في
احداث تلك النهضة الشاملة .

ولعل من اقوى الدعام التي ارتكزت عليها النهضة
العلمية في صدر الاسلام هي حركة التعريب الواسعة
النطاق التي نقلت الى المكتبة العلمية العربية نفائس
التراث القديم من الشرق والغرب ، بعد ان كانت هذه
المكتبة من قبل غير واضحة المعالم . ومع هذا الاسلوب
العلمي الناضج اصبح من اليسر لكل راغب في علم ان
يجد في متناول يديه كل مايفيه من مصادر شتى في تلك
المكتبة الغنية المتكاملة . وكانت النتيجة المباشرة لذلك

(*) من مجلة اتحاد الجامعات العربية العدد التاسع مارس 1976 .

مستعد له تهما . وهذا انعكس بدوره على الاستاذ في بعض الحالات اذ لم يجد بدا من وضع مذكرات ملخصة في اسلوب مبسط حتى يساعد الطالب على تخطي حاجز اللغة الذي يحجبه عن الموضوع العلمى ، اما المرجع العلمى ، الاجنبى فظل قابعا على رفوف المكتبات لايجد من يتداوله الا نادرا .

ان الواقع يتحدث عن نفسه بان المحاضرات تلقى باللغة العربية في معظم كلياتنا العملية اذا كان المحاضر عربيا - فيها عدا المصطلحات العلمية والمعادلات الرياضية وغيرها حيث تكتب بالرموز الدولية المتفق عليها - فليس اصعب على العربى من ان يخاطب عربيا بلغة اجنبية . اما اذا كان المحاضر غير عربى فالمحاضرات تلقى بالانجليزية اسما ، اما فعلا فتلقى بالانجليزية على الطريقة الباكستانية او الهندية واهيانا اليوغوسلافية او غيرها . والضحية دائما هى الطالب الذى يرى انه لزاما عليه ان يتابع المادة العلمية في محاضرات طويلة بلهجات انجليزية غريبة على افئه بجانب ان اللغة نفسها بعيدة عن عقله وتفكيره . وقد لمس كاتب البحث ذلك بنفسه اثناء فترة اعارته لجامعة طرابلس ، فعلى الرغم من ان الطالب يدرس اللغة الانجليزية في الجامعة مع اساتذة برطانيين على مستوى رفيع من الخبرة ومن خريجى اكسفورد وما شاكلها ، وعلى الرغم من معامل اللغات ذات الامكانيات الفائقة التى وفرتها الجامعة كوسيلة متقدمة لتعليم اللغات ، يجد الطالب صعوبة في متابعة الدراسة والتعامل بهذه اللغة ، مع دوام الشكوى من التعثر في تتبع المحاضرين غير العرب اثناء محاضراتهم بسبب اللغة .

التعريب في الجامعات العربية ضرورة حتمية

باستعراض اللغات المستعملة حاليا في جامعات البلدان الصغيرة ذات القوميات المحدودة والتي قطعت شوطا طويا في مضمار التقدم - مثل يوغوسلافيا ورومانيا والمجر وغيرها - يتضح انها لا تشذ عن قاعدة استخدام لغاتها القومية حتى في اعقد العلوم واكثرها تطورا ، وهذا لم يكن ليحدث لو لم تتوفر مكتبة

البناء وبذلك الجهود المشكورة من جانب مجمع اللغة العربية : وعقدت المؤتمرات العلمية العربية التى كان آخرها مؤتمر مجمع اللغة العربية الذى عقد في بغداد في نوفمبر سنة 1965 . كما بذلت المحاولات من جانب المجلس الاعلى للبحث العلمى لاصدار معجم عربى موحد لكنها لم تؤت ثمارها . ودق المخلصون ناقوس الخطر في مختلف أرجاء الوطن العربى لتدارك الوضع الذى ينذر بانقراض امر اللغة في المجالات العلمية ، وقد ظهر ذلك بوضوح في البحوث القيمة التى قدمت للمؤتمر العام الثانى لاتحاد الجامعات العربية (1) ، حيث اجتمعت كل البحوث على ضرورة التعريب في الجامعات العربية . ويحاول هذا البحث بلورة ما وصلت اليه الجهود السابقة في علاج هذه القضية مع وضع تصور يكفل نجاح سياسة التعريب على المدى الطويل بأسلوب علمى مدروس يهدف الى تحقيق غايتين : اولا انتشار العلوم التقنية الحديثة على المستويات والقطاعات المختلفة في المجتمع ، ثانيا الارتباط العنقى بالتطورات المستمرة الجارية في الدول المتقدمة مع اتقان لغات هذه الدول .

التناقض اللغوى في التدريس بالكليات العملية :

ورد في قانون تنظيم الجامعات المصرية - على سبيل المثال - ان العربية هى لغة التدريس بها ، غير ان معظم الكليات العملية حصلت على استثناء من العمل بهذا النص حتى الآن (2) ، ومنذ عشرات من السنين خلت كانت تلقى محاضرات باللغة الانجليزية في كليات عملية بهذه الجامعة دون النطق بكلمة عربية واحدة ، ولم يكن يشذ عن هذه القاعدة الكثير من المحاضرين العرب انفسهم ، غير ان طالب تلك الايام كان يتقن الانجليزية قراءة وكتابة وكلاما ، اذ كان يتعلمها في المدارس منذ نعومة اظفاره وعلى ايدى معلمين انجليز غالبا ، فكان الطالب يطلع على المراجع الانجليزية في سهولة ويسر . اما ما وصل اليه مستوى اللغات الاوربية عند طالب الكليات العملية اليوم فهو غنى عن البيان ، ومن ثم وجد الطالب نفسه في موقف هو غير

(1) «استخدام اللغة العربية في التعليم العالى» المؤتمر العام الثانى - اتحاد الجامعات العربية - القاهرة - فبراير (شباط) 1973
(2) د ، عبد الحليم منتصر : «اللغة العربية لغة التدريس في الجامعات العربية» . المؤتمر العام الثانى - اتحاد الجامعات العربية - القاهرة - فبراير (شباط) 1973

متكاملة تضمها تلك اللغات ، سواء كانت محتويات هذه المكتبة وطنية الاصل أم مترجمة عن لغات أخرى. لذلك فالمطالبة بتعريب التدريس في جامعاتنا العربية لا معنى تعصبا أعمى للفتنة القومية بقدر ما هي ضرورة ملحة وأمر حتى للأسباب التالية :

أولا : اسباب قومية

ما من شك في أن اللغة العربية هي جامعة العرب، وأن وجود لغة عربية علمية للاستعمال في شتى أنحاء الوطن العربي يبعث على التضامن والتكامل العربي ويثبت مفهوم الوحدة العربية . ولقد بدأنا مؤخرا نرى تضاربا واضحا وتباينا كبيرا في استخدام المصطلحات والمفردات الجديدة التي استحدثتها التطورات العلمية وما زالت في الاقطار العربية المختلفة (3) و (4) . وإذا ترك الحبل على الغارب في هذا الشأن فسوف يستفحل الأمر ويصعب تداركه ، وتصبح الوحدة الفكرية بين العرب أمرا بعيد المنال عمليا .

واستخدام العربية كلفة علم ليس بدعة ، فقد كانت هذه اللغة رائدة في مجالات العلوم لعدة قرون ، والمعلوم أن حركة الترجمة الواسعة التي نقلت الكثير من المكتبة العربية الى اللغات الأوروبية لعبت دورا أساسيا في الانتعاش الأوروبية في عصر النهضة ، وما زالت بصمات لغة الضاد باقية حتى الآن في لغات أوربا مثل الصفر والجبر والتلوي والكحول وغيرها مما يضيق عنه المقام هنا . لذلك نالقول بأن العربية لا تصلح كلفة علم باطل من أساسه لأنه من غير المقبول منطقيا أن تكون العربية لغة علم في عصر دون عصر .

واللغة العربية غنية بإمكانياتها اللفظية الضخمة وتتمتع بمرونة هائلة في الاشتقاق والقياس على الأوزان الكثيرة المستعملة (5) ، غير أن ذلك قد يصبح سببا معاكسا لسياسة التعريب ، فهناك بعض الجامعات الطموحة التي سبقت في مضمار التعريب منفردة وقامت بجهود مشكورة ، إلا أنها وقعت في مأزق الاجتهاد في تعريب الكثير من المصطلحات العلمية ، مما قد يعتبر بداية لظهور لغات علمية عربية اقلية بسبب التباين

في استعمال الفاظ عربية متنوعة للتعبير عن معنى واحد، من ذلك يتضح أن ايجاد المصطلح العلمي العربي لا يبدو في حد ذاته مشكلة صعبة إذا ما اتفق العرب جميعهم على الالتزام به ، لكن الصعوبة الحقيقية تكمن وراء التعبير العلمي الصحيح وتركيب الجملة السليمة وتداعى الأفكار المنطقي ، لأن اللغة كيان فكري ونفسي ووسيلة فعالة للتعبير والاتناع ، وبالتالي فإن التفكير بلغة اللسان الاصلية أجدى وأكثا من الالتجاء الى لغات أجنبية ! !

حفاظا على مستقبل الوحدة العربية وتمسكا بركب الحضارة الذي تزداد سرعته يوما بعد يوم فإنه يلزم بدء معركة التعريب فوراً وعلى مستوى الوطن العربي كله ، ولن يكتب لاي محاولة للتعريب النجاح إذا هي قامت على مجهودات منفصلة سواء على مستوى الدول أو الجامعات أو الأفراد ، لكن يجب أن يتم ذلك بتنسيق كامل بين الدول العربية ، وقد يكون أنسب موقع لبدء سياسة التعريب هو جامعة الدول العربية أو أي جهة أخرى على مستوى المسؤولية ، مع عدم ربط هذه السياسة بموافقة الدول كلها أو بعضها حتى لاتصبح أمرا بالغ التعقيد بطيء الحركة ، على اعتبار أنها قضية قومية غير مطروحة للجدل والنقاش . وهذا يتطلب أولا النهوض بمستوى اللغة العربية في المدارس واتقان الفصحى والالتزام بها وتضييق الفجوة بينها وبين العامية .

ثانياً - اسباب تعليمية :

أن استخدام اللغة العربية في التدريس بجامعاتنا ومآهدنا العلمية والتقنية سوف يسهل الى درجة كبيرة مهمة التحصيل على الطالب ويزيد من قدرته على استيعاب العلوم ، ويوفر له الوقت الضائع في البحث عن التراجم ومعاني الألفاظ في القواميس ، كما أنه يعمل على سرعة تفهم الأمور الغامضة والمسائل المعقدة ، ويساعد الطالب على التعبير عن نفسه والاتطلاق المتحرر في التفكير والتحصيل . وهذا لايمتد دعوة لمقاطعة اللغات الحية ، إذ أن معرفة اللغة والدراسة

(3) المؤتمر العلمي العربي الثاني ، القاهرة 1955

(4) المؤتمر العلمي العربي الثالث ، بيروت 1957

(5) د ، عبد الملك عبد الرحمن أبو عوف : «إمكانية استخدام اللغة العربية في التعليم العالي» . المؤتمر العام الثاني - اتحاد الجامعات العربية - القاهرة - فبراير (شباط) 1973

زادت أعداد الوطنيين المؤهلين بالقدر الذى يسمح بيده مرحلة التعريب .

ان القول بتأجيل تعريب الدراسة فى جامعاتنا لحين ارتفاع مكانتنا الحضارية والعلمية وحتى نخرج من مرحلة التقليد الى مرحلة الابداع (6) الامر يدعو الى الدهشة ، لان ارتفاع هذه المكانة والخروج من تلك المرحلة لن يتما الا بالتعريب . ان نظرة واقعية لمستوى الدراسة فى اغلب الجامعات العربية تظهر لنا مدى التدهور المستمر والذى لا يرجى له اصلاح فى ظل الاوضاع والظروف الحالية . وعلينا تعرية المشكلة ومقابلتها بشجاعة حتى يتسنى وضع الحلول المناسبة لها ، على الا تكون حلولا عفوية بل لابد من الدراسة والتحصيل الذى تؤدى الى وضع مخطط طويل وسياسة بعيدة النظر تمهد لتعميم التعريب تدريجيا فى جامعاتنا حتى نبدأ فى التنفيذ لتجنى الثمار اجيال اخرى .

واذا كان المقصود بتعريب التدريس هو ما ينصب على الدرجة الجامعية الاولى فان المراحل التى تليها — وهى التى تهتم بالتخصصات الدقيقة والابحاث — لا تشذ عن هذه القاعدة ، فليس هناك تناقض أو غشاضة فى أن يقوم باحث عربى فى جامعة عربية بكتابة أطروحة الدكتوراه مثلا بالعربية الفصحى فى موضوع علمى أو تقنى مستخدما المراجع والدوريات والمجلات العلمية من ثلاث أو أربع لغات . ثم كيف يكون منطقيا أن يكتب الباحث العربى أطروحته باليابانية أو بالروسية فى تلك البلاد ثم لا تقبلها منه بالعربية فى وطننا . ان كل طالب دكتوراه فى جامعات ومعاهد الدول المتقدمة يؤدى امتحانا فى لغتين اجنبيتين تكونان بمثابة نافذتين يطل منهما على علوم ومعارف هاتين اللغتين . ان اصحاب راي تأجيل التعريب الى ما بعد الخروج من مرحلة التقليد الى الابداع فى ظل ظروف جامعاتنا حاليا — عليهم ان يبيشروا بطول انتظار .

ثالثا — اسباب اقتصادية :

ان لعملية التعريب تأثيرا غير مباشر على النواحي الاقتصادية داخل الاقطار العربية وعلى تقدمها حضاريا على وجه العموم ، اذ ان تخريج اجيال من المتعلمين الجامعيين وغيرهم ممن يتلقون دراساتهم التقنية باللغة

بها امران مختلفان . وليس المجال هنا لبيان الاهمية القصوى لمعرفة اكثر من لغة اجنبية ، لان عملية التعريب لا تتنافى باى شكل من الاشكال مع الاهتمام باللغات الحية ، بل على العكس تؤكد اهمية تدريس هذه اللغات ويصوره اكثر كفاءة وفعالية فى مراحل الدراسة المختلفة .

ان كليات الهندسة والطب هى اكثر الكليات فى الوقت الحاضر استعمالا للغات الاجنبية فى التدريس وعلى نطاق واسع ، ويلاحظ القارئون على التدريس فى هذه الكليات هبوطا مستمرا فى مستوى اللغات الاجنبية عند الطلاب مما يزيد الامر تعقيدا ، فاذا ما حاول الطالب العادى الاطلاع على المراجع الاجنبية فانه يصطدم بحاجز اللغة الذى يكبل تفكيره ويصرفه عن الموضوع ويفصله عن تتبع تسلسل المعانى مما يضطره الى بذل مجهود مضاعف ومقد كثير من الوقت فى محاولة استيعاب اجزاء يسيرة وصفحات معدودة لانه يشتت طاقته الفكرية فى ناحيتين مختلفتين : اولهما فهم المقصود اللفظي وثانيهما استيعاب المفزى العلمى . وناهيك بما يحدث اثناء الامتحانات التحريرية والارتباك الذى يقع فيه الطالب العادى بسبب كلمة غاب عنه معناها أو سؤال اضناه تفكيره لتفسير الغرض منه ، حتى اصبح امرا طبيعيا مرور המתحدين فى قاعات الامتحانات لترجمة وتعريب ما استمعى على الطلاب من كلمات فى ورقة الاسئلة وبيان المقصود من السؤال . ولو ما حاسبنا الطلاب فى اوراق اجاباتهم لغويا لامست النتيجة باثثة ، فغالبا ماتكون لغتهم ركيكة الى درجة مؤسفة .

وهناك جانب آخر من القضية لا يقل اهمية وهو ان الكثير من اعضاء هيئات التدريس فى جامعاتنا قد اتموا دراساتهم العليا فى دول غير ناطقة بالانجليزية او الفرنسية (وهما اللغتان الشائعتان فى الجامعات العربية) ، وهذا بدوره يخلق صعوبات اخرى ليست بسيطة وغير خافية على احد .

كان الامر مقبولا وقتما كانت الجامعات العربية تفتقر الى العناصر الوطنية ضمن هيئات التدريس ، ولم يكن هناك بد من دعوة الاساتذة الاجانب ليحاضروا بلغاتهم . وقد اختلفت هذه الصورة منذ سنوات بعد ان

(6) د . محمد حسن ابراهيم : «استخدام اللغة العربية فى التعليم الجامعى» . المؤتمر العام الثانى — اتحاد الجامعات العربية — القاهرة — فبراير (شباط) 1973

المختلفة واستعراض المراجع العربية المتوفرة ، ثم حصر الثغرات ونواحي النقص التي تفتقر إليها المكتبة العربية ، وبعد ذلك وضع مخطط عام للترجمة والتأليف بالعربية في مختلف نواحي العلوم ، وفي الحالتين يبين في المخطط التخصصات المطلوب التأليف أو الترجمة فيها - وقد يكون من الانسب أحيانا البدء بالترجمة حيث تعتبر خطوة أولى نحو التأليف ، وهنا ينبغي أن تحدد الخطة أسماء الكتب والمراجع المرشحة للترجمة . ومن الضروري أن تتم الخطة تدريجيا حسب مراحل متتالية وبعد تأمين الشروط الموضوعية لضمان نجاح كل مرحلة على حدة بجانب المراحل مجتمعة .

ولا بد من رصد ميزانية سخية لهذه الهيئة لتغطية مكافآت الترجمة والتأليف بجانب تكاليف الطباعة والنشر . ولا يغيب عن أحد مقدار العائد الذي سوف يجنيه الوطن العربي على المدى الطويل .

وقد يتسع مجال عمل هذه الهيئة مستقبلا فتعمل على ترجمة قضايانا القومية ومبادئنا السامية وأفكارنا الانسانية الى اللغات الحية وضمان نشرها على العالم بالصورة التي ينبغيها حتى نضع نهاية للعزلة التي قاسينا منها طويلا .

ختام :

ان التعريب ضرورة حتمية علينا أن ننظر اليه على انه قضية متكاملة تشمل جميع نواحي النشاطات العلمية والثقافية والاقتصادية . وبالتالي لا يمكن قصرها على صعيد تعريب المناهج الدراسية في الجامعات . وان أي جهد يبذل في هذا الصدد ما لم يكن متناسقا مع جهودات مماثلة في المجالات المختلفة ضمن مخطط شامل يصبح نجاح التعريب موضع شك كبير . لذلك يجب أن يتم تعريب الدراسة الجامعية بالتنسيق أو كجزء مكمّل لعمل هيئة مسؤولة ومتفرغة على مستوى الوطن العربي . والدعوة قائمة لانشاء « هيئة التعريب العلمى » تكون مهمتها وضع خطة عمل وبرنامج شامل يضمن استمرارية عملية التعريب بجانب حصر الكفاءات العلمية العربية التي تتوافر فيها صفات خاصة مثل الاهتمام العلمى بسائلة التعريب مع اجادة اللغات العلمية الحية والاستعداد الشخصي للمشاركة في هذا العمل .

العربية ليعتبر من الدعائم الاساسية لخلق المجتمع الصناعى المتكامل الذى نصبو اليه . فلا مفر لذلك من وجود قاعدة عريضة من المتعلمين والمتخصصين والفنيين الذين يستخدمون نفس اللغة والمصطلحات في دراستهم وتطبيقاتهم على حد سواء . وهذا بدوره يلغى الهوة بين الجامعيين والجهاز الفنى الذى يتعاونون معه في الانتاج والتطبيق من الفنيين والعمال والمساعدين ، كما يسهل التعاون والتفاهم فيما بينهم ويعمل على الارتباط وحسن سير العمل والتغلب على العقبة الرئيسية في هذا السبيل وهى تسلسل الاوامر والتعليمات على المستويات المختلفة مما يؤدي حتما الى زيادة الانتاج .

اسلوب التعريب :

ان عملية التعريب بمعناها الواسع تعنى باختصار توفير المصطلحات والقواميس العلمية وتطوير اللغة العربية في نواح متعددة بجانب اعداد المراجع والكتب والمجلات العلمية والدوريات وترجمة مستمرة للانتاج العلمى الرفيع في العالم المتطور ، ثم طبع الانتاج المعرب ونشره وتعميمه في المؤسسات العلمية العربية . وعملية التعريب لا يمكن أن تحقق أغراضها وفي فترة زمنية معقولة ما لم تقم على خطط مدروسة تقع مسؤولية تنفيذها على عاتق هيئة متفرغة تنشأ خصيصا لهذا الغرض (2) و (7) .

كما ان محاولة البدء بالتعريب في الجامعات لا يمكن على الاطلاق أن يكون بديلا لقيام هذه الهيئة لان ذلك سيصبح مجرد جهد شبه فردى لا يحقق الهدف العام ، وقد يكون له نتائج عكسية من حيث فشل المشروع بأكمله . ان هناك نشاطات فردية وشبه فردية لا يمكن انكار اهميتها ظهرت في المؤتمرات العلمية العربية (1953 - 1966) ، الا انها في نفس الوقت قاصرة عن نقل العالم العربى كله الى حالة من التعريب الكامل . غير ان وجود هذه الهيئة المتفرغة بشخصيتها الاعتبارية ومخططاتها وميزانياتها المستقلة يضمن استمراريتهما للاضطلاع بالدور الثقيل الذى سوف يوكل اليها القيام به . وليكن اسمها « هيئة التعريب العلمى » او « اتحاد التعريب العلمى » . ويتم تشكيلها بصفة عربية دولية ويدعى اليها ممثلو الاتحادات والهيئات العلمية المعنونة بشؤون التعريب لوضع الخطط والبرامج لسياسة التعريب بعد عمل مسح شامل للتخصصات العلمية

(7) د . جميل الملايكة : « استخدام اللغة العربية في التعليم العالى » - المؤتمر العام الثانى ، اتحاد الجامعات - القاهرة - فبراير (شباط) 1973 .

أنباء وآراء

المنحة

I - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم :

1 - في المؤتمرات :

أ - الاسلام ومشاكل القرن العشرين
للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله 207

ب - الرحلات الحجازية وصلة بين شقى العروبة
للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله 211

2 - جهود المنظمة :

أ - مؤتمر الشؤون الثقافية في الوطن العربي 218

ب - نشر اللغة والثقافة العربية 220

ج - تنمية تدريس العربية في باكستان 223

3 - اللغة العربية بين شعوب العالم 230

4 - أنباء المنظمة 232

II - مكتب تنسيق التعريب :

1 - اللجنة الاستشارية لمكتب تنسيق التعريب 240

2 - التخطيط الثلاثى (78 - 1980) 243

3 - أنباء المكتب :

أ - أخبار 247

ب - مع القراء 251

ج - قالت المحاضرة 254

الاسلام ومشاكل القرن العشرين

للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله

والبخارى ومسلم وبعض السنن والمسانيد ، فاذا رجعنا الى الاصول المنتقاة متتبعين سلسلة الاسانيد التي تعتبر احد مفاخر الفكر العلمى الاسلامى — لما انطوت عليه من تدقيقات وتحريات — امكنا ان نستخلص في وضوح جملة من الانكار الاسلامية التى دعم بها سيدنا محمد عليه السلام هيكل الاسلام في مقوماته الجوهرية ولن يكون بحثنا — نظرا لضيق المقام — مستقصيا ولا مستوفيا ، ولكن انتقائيا ، نستكمل جوانب النقص فيه بالاجابة عما يعن لحضراتكم من اسئلة استيضاحية .

فلنبدا بالجانب الاجتماعى في آراء ونظريات الرسول عليه السلام ، فقد بلغت الاحاديث ذات الطابع الاجتماعى حسب احصاء قيمت به شخصا نحو اربعة اخماس المجموع وضعت كلها حلولا رصينة لقضايا المجتمع .

ويشكل هذا المجموع ما يمكن ان نسميه تجوزا ينجذب اليها كثير من شبابنا ومن هذه الايديولوجيات مذهب الماركسية الذى تواجهه في الاسلام فكرة العدالة الاجتماعية والتعادلية الاقتصادية ، فاذا اعتبرنا ان الماركسية تركز على ثلاث دعائم اساسية هي الحد الحوى الأدنى والتسوية الطبقة ، واعتبار العمل بمثابة رأس المال الحقيقى طبقا لمبدأ Capital-travail (العمل رأس المال) لكارل ماركس ، وجدنا الفكرة الاسلامية ملخصة في ثلاثة احاديث شريفة هي قوله عليه السلام :

اتعمد في قرطبة بين 21 و 27 مارس 1977 المؤتمر الاسلامى المسيحى العالمى الثانى امتدادا للمؤتمر الاول الذى انعقد منذ سنتين بنفس المدينة ، وكان موضوع هذا اللقاء هو شخصية سيدنا محمد وشخصية سيدنا عيسى عليهما السلام .

وفيما يلى موجز تختل الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله

قال الفيلسوف برناردشو : «لو كان محمد حيا اليوم لحل مشاكل عصرنا وهو يشرب فنجان قهوة » .
نعم ان رسول الاسلام قد خرق بفكره الثابت المعز بالوحى غياهب الحضارات ، وحرر ابعاد الفكر البشرى ليستشف في بساطة ممتعة الخلول المثلى لمشاكل الانسانية في مختلف الاعصار والامصار .

لقد شملت نظراته الكاشفة شتى تطورات الانسان في معالجات فكرية واقتصادية واجتماعية يندهش الفكر العلمى الناقد اليوم لدى انطباقها على معطيات انبعاثه المتجددة ، وتحديات هذا الانبعاث .

وسوف نستعرض نماذج من هذه البادران انطلاقا من نصوص الاحاديث الصحيحة التى اوصلها الامام احمد بن حنبل الى المليون اى الف الف بلغة ذلك العصر ، ولكن نقد رواة الحديث لم يحتفظ منها باكثر من خمسة آلاف هي قصارى ما ورد في الصحاح كالموطأ

(1) ان في المال لحقا سوى الزكاة (وهذا منطلق مشروع لتحقيق نوع من التسوية بين طبقات الامة) .

(2) انا خصيم من لم يؤد اجرة الاجير قبل ان يجف عرقه .

(3) من اكل اجرة الاجير حبط عمله ستين عاما .
وقد افرد ابن خلدون في مقدمته فصلا عنوانه « الكسب راس المال » حل فيه هذه الفكرة قبل الزعيم الشيوعي كارل ماركس بعدة قرون ، وقد القيت محاضرة في الموضوع في قلب موسكو بدعوة من اكااديمية العلوم .

ان احاديث الحسبة في الاسلام — وهي تستهدف القضايا الاجتماعية والاقتصادية — تشكل دستورا للمدينة الفاضلة التي يتحقق فيها التوازن هو سر الجمال والكمال في الحياة ، فالانسان الفاضل حقا هو الذي لروحه عدل ما يمنحه لجسمه وقد قال العالم باسطور Pasteur « ان من قضى ساعتين في كل يوم يجب ان لا يعتقد انه اضاع وقته وانما اعطى لروحه بعض حقا » ، وقد غضب الرسول عليه السلام عندما رأى اقواما يتنزهون عما يفعله فقال معرضا بأولئك « انى اصوم وانظر واقوم وانام واتزوج ومن رغب عن سنتي فليس مني » .

وسئلت عائشة عما كان يفعله الرسول في بيته فقالت في جواب انساني رائع : « لقد كان بشرا كالبشر » وهذا هو سر عبقرية الرسول لانه عرف كيف يوفق بين جوادب الحياة وقد اعتبر عليه السلام مصلحة المجتمع انعلما وهي اساس الفكر الاسلامي ، ومن ذلك اعتبر الامام مالك مبدا « المصالح المرسله » وتحكيم العادات كما اعتبر الرسول ان الحرية الحق هي التي لا تسطو فيها حرية على حرية وان ضابط السمو الروحي كامن في عدم المساس بحقوق الغير وكرامة الغير ، وان المومن الحق لا يكذب الا في اصلاح ذات البين ، وان من محبطات اعمال المومن اغتيال اخيه الانسان وقذف المرأة المحصنة وقد دخلت يهودية قصيرة القد على الرسول وعنده زوجته عائشة فتبسمت هذه استخفافا فغضب عليه السلام وقال : « يا عائشة لقد نطقت بكلمة لو مزجت بماء البحر لما زجته ! » .

وقد خول رسول الاسلام المرأة نصف ميراث الرجل معترفا لها بحق الاحتفاظ بمالها ومشاركة زوجها

في ماله بحكم النفقة المحتمة فكانت هي الرابعة ، كما حذر الرسول من الطلاق المشروع بقوله : « ابغض الحلال الي الله الطلاق » ملاحظا مع ذلك ان مصم عرى الزوجية ليس بالامر الهين وان « لا طلاق في اغلاق » وكأنه حل بهذه المرونة ما يواجه الانسانية اليوم من مضايقات ! وقد فضل الرسول تعدد الزوجات مع التشديد في لزوم العدل « ولن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » وهنا نوه كل من ويسترمارك Westermack الخبير الاوروبي في شؤون الزواج والزعيم الاشتراكي ليوم بلوم Blum بالتشريع الاسلامي حيث فضلا هذا النظام على عادة اتخاذ الخليلات التي تقوض الاسرة الاوروبية ، على ان نظام الاقتصاد القبلي في عصر الرسول عليه السلام كان يتطلب هذا التعدد الذي خفضه عليه السلام الى اربع نسوة بدل عشرة فآزید وقد اصدرت مصر بعد ثورة 1952 مرسوما اباحت فيه تعدد الزوجات في الريف لاسباب اقتصادية ومن جهة اخرى وجد الرسول مجتمع عصره غارقا في خضم الاسترقاق فوضع جيلة من الكفارات ، لتشجيع العتق جاعلا حدا نهائيا للاستعباد خارج الجهاد المشروع وقد شرح ذلك سيدنا عمر بن الخطاب حيث قال مستنكرا : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ؟ » .

وقد وضع الرسول خطة رصينة للتخطيط العائلي لتلخص في الحرية الواعية فاباح العزل مع الدعوة الى الانجاب في حدود المسؤولية ، وكان عليه السلام يخاطب مائة الف صحابي فقط وهو عدد المسلمين في عصره ، عندما قال « تكاثروا تناسلوا فانى مياہ بكم الامم يوم القيامة » .

ومما يتصل أيضا بالمقوم الاقتصادي والاجتماعي في الامة ضمان مستوى ثقافي تنمحي معه الامة تدريجيا ، وقد دلت الاحصاءات في المغرب مثلا حسبما ورد في كتاب « المغرب المجهول » لموليراس الذي صدر عام 1895 على ان قبائل باكملها في شمال المغرب الاقصى كانت تعرف القراءة والكتابة لان المومن كان يشعر بان ايمانه لن يكتمل حتى يكون قادرا على قراءة القرآن . اما قول الرسول عليه السلام : « انا امة امية لاتكتب ولا نحسب » فانه استهدف بذلك ضرورة الانتطلاق من القاعدة مؤثرا اياها على هرم المجتمع في مستواه العالي ! وقد وضع عليه السلام ضابط الحجر الصحي

مظاهر الفكر الإسلامى الصحيح من النصوص الصحيحة
لأحاديث الرسول .

وهكذا أصدر سيفنا محمد عليه السلام في سنته
عن مبدأ اليسر حيث قال « ان هذا الدين يسر ولن
يشاد الدين احد الا غلبته » وقال : « ان هذا الدين
متين فاعمدوا فيه برلقى » .

كما أصدر عليه السلام في قوله وفعله كله عن
مبدأ الحب والرحمة والانسانية الشاملة فقال : « انما
انا رحمة مهداة ، وخاطبه الحق في قوله : « وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين » فدعا الى الوحدة الحق بين
اهل التوحيد واعتبر المجوس الزردشتيين اهل الكتاب
لتوحيدهم وروى ابو هريرة قوله عليه السلام : « بشر
من قال لا اله الا الله بدخول الجنة » فلم يشترط عليه
السلام في الزلفى من الحق سوى توحيده وقد تعزز هذا
الحديث بحديث آخر عن ابي هريرة ايضا : « احق
الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله
خالصا من قبله او نفسه » ، وقد دعا الرسول الى حماية
الحيوان جميعه قائلا : « في كل كبد رطبة صدقة » وبذلك
اصبح المجتمع الإسلامى الصالح غير محتاج الى
« جمعيات الرفق بالحيوان »

ولا نقصد في حديثنا هذا الا الآراء المستخلصة من
أحاديث الرسول عليه السلام حيث ضربنا صفحا عما
ورد في القرآن من آيات سبقت الكشف العلمية بأزيد
من عشرة قرون وقد أصدرت مطابع (سيفرس)
Seghers بباريس عام 1976 كتابا لموريس بوكاي
Maurice Bucaille بعنوان : « التوراة والقرآن
والعلم » أكد فيه أنه لم يرد قط في القرآن ما يخالف
العلم ويتناقى مع معطياته .

وقد عزز الرسول التعادلية الاقتصادية بنظام
الزكاة الذى يقتطع من الغنى نصف عشر ماله لفائدة
الفقر دون أن يؤدي الأمر بهذا الفقير الى تكاسل عن
الكسب لان الكسب عبادة ولان الكد على العيال من
أكد القربات وقد قال عليه السلام : « لان يحتطب أحدكم
حزمة على ظهره خير من ان يسأل احدا اعطاء او
منعه » وقال : « اليد العليا (اي المعطية) خير من اليد
السفلى (اي الإخذة) واعتبر الرسول من الاصناف
الثمانية الذين لهم حق التمتع بالزكاة الفقير الذى له
قوت سنة كاملة لان الرسول اراد ان يوفر للمواطن كل
مقومات الحياة الوديمة الرغيدة بالاضافة الى القوت
اليومى حتى يمكنه من اللباس الطيب ومن تربية أبنائه
والسهر على صحتهم والحفاظ على كرامة الاسرة كقوة

عندما قال : « اذا كان الطاعون في بلد فلا تدخلوه واذا
كنتم فيه فلا تخرجوا منه » كما أصدر سلسلة من
التشريعات التى تضع الحل المناسب لجملة من مشاكل
الصحارى والبادى التى انطلق منها الاسلام فقال عليه
السلام « اذا وقع الذباب في اناء أحدكم فليغمسه فان في
احد جناحيه داء وفي الآخر دواء » وقد قام مؤتمر طبى
انعقد بلندن عام 1930 بتحليل الجناحين فوجد في
احدهما عناصر كيميائية تعقم العناصر الموجودة في
الجناح الآخر ، وقد نشرت مجلة « التقوى » المصرية
تقرير هيئة الاطباء في ابانه ، كما أكد عليه السلام ضمن
اربعمائة حديث طبى وردت في رسالة خاصة للسيوطى
قوله : « اذا ولغ الكلب في اناء أحدكم فليغسله سبعا ،
احداهن بالتراب » . وفي ذلك اشارة الى أن جرثومة داء
الكلب لا تستأصل الا بالتربة المسماة humus والتي
هى أحد عناصر البنسلين pénicilline وكان عليه
السلام يداوى الجراحات بالرقيق ، وكشف الطب
الحديث ان ريق الانسان يحوى من الفيتامين نحو مائة
ضعف ما يوجد في غيره .

وكان الرسول عليه السلام سباقا الى المرونة في
الدين فلم يستنكف عن مساندة بعض ما يندرج اليوم
تحت شارة الدرجة او الموضة حيث دعا الى الرفق
بالمرأة « رفقا بالقوارير » وسمح لعائشة وأم سلمة -
كما في صحيح مسلم - بحشى ثلاث حثيات على ضفيريتهما
في الوضوء الاكبر دون فكهما مستجيبا بذلك الى رغبة
عارمة عند المرأة المصرية التى تريد الحفاظ على دينها
دون أن تحرم نفسها من تزيينات الحلاقة
الحديثة ، وقد جعل الرسول من المرأة
رئيسة البيت والاميرة على شؤونها . ولولا
عاطفتها ورقة شعورها لاسند اليها الحكم في منصة
القضاء ، وقد أحاطها عليه السلام بعطفه ودلها بما لم
تحلم المرأة المعاصرة بالتمتع به حيث أناط بها اختيار
شريك حياتها حقها المالى كاملا ، في حين ان المرأة
الغربية ما زالت ترزح في القرن العشرين تحت ثقل
نظام الشركة الزوجية

régime de la communauté matrimoniale

الذى يخول للزوج السيطرة المطلقة على مال زوجته وقد
سمح القانون الفرنسى مؤخرا في عهد الجنرال دوكول
G. De Gaulle بتسقط يسر جدا من هذه الحقوق التى
منع الرسول بها المرأة المسلمة منذ اربعة عشر قرنا وقد
صنفت في ذلك كتابا باللغة الفرنسية عنوانه : « أضواء
على الاسلام او الاسلام في بناييعه » حيث استقيت بعض

طبية للمجتمع الفاضل ذلك المجتمع السذى لا يكلى في استكمال توازنه مجرد القيام بشعائر الدين من صلاة وصيام بل ان هذه الشعائر لن تؤتى اكملها حقا الا اذا قرنت بالتعاطف والتعاضد وتبادل الاحترام لحقوق المواطن ، ولذلك اعتبر الرسول من محببات الاعمال كل ما اخل بكرامة المواطن فضلا عن المساس بحق من حقوقه ، وقد دعا الرسول عليه السلام الى ما فى الآية الشريفة : «ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» جاعلا من المستثنيات عدم قبول التوبة مالم يتم رد المظالم الى اصحابها اذ فى ذلك وحدة كفالة توازن المجتمع .

على ان تشريع محمد هو اصل مدونة نابليون التى ما زالت تاعده التقنين والتنظيم بفرنسا ومن سبج فى فلها ، وقد انعقد مؤتمر دولى للقانون عام 1951 اجمع على الاعتراف بان الفقه الاسلامى هو فقه عالمى يصلح ان يكون تشريعا للانسانية جمعاء بما حواه من عناصر استكملت مختلف اوجه النظر فى المجالات الحضارية والاقتصادية والمعاملات .

تلك هى بعض مقومات المدينة الفاضلة كما ارادها رسول الاسلام ، ومن اروع المبادئ التى اقامها الرسول لحل جميع مشاكل هذا الكون فكرة النسبية *relativité* التى تميز بين العالمين : عالم الملك ، وعالم الملكوت ، وهما ما نسبته اليوم بعالم المحسوسات ، او المنظورات وعالم ما وراء الطبيعة ، او ما وراء المادة ، معتبرا كل ما يتصل بالانسان نسبيا ، وكل ما يتصل بالله مطلقا ، ولم يقع المعتزلة فى شرك تعطيل الصفات الالهية ، الا بحيادهم عن هذه القاعدة المثلى ، اذ ببدا النسبة نفهم قول الله تعالى : «وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون» وقوله : «فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة» نظرا لاختلاف المقاسات والابعاد بين اطراف العالمين . وقد حمل رجل الفضاء فى سفينته القطة الصغيرة فعاد بها الى البسيطة وهى اكبر سنا من امها التى بقيت على الارض ، وقد خبط بعض العلماء والفلاسفة منذ عهد ارسطو فى علة الاربعة المعروفة فى خصوص الدلالة على وجود الله وشك الفيلسوف الالماني كانتط فى كثير من مدارك العقل غير الخالص *Raison pure*

ولكن محمدا عليه السلام جاء بدليل بسيط عززه القرآن بقوله : «الله نور السماوات والارض» فكانه اراد ان يقتننا بانه اذا كان العلم الحديث قد عجز عن استكناه ماهية نور الكهرباء مثلا وهو طاقة محسوسة فكيف بنور يخرج عن حيز هذا الكون ، ذلك ان سر

نجاح الانسان فى هذا العالم الرياضى الذى يعيش فيه هو ان يعرف قدره ولا يتجاوز حده ، والى ذلك دعا رسول الاسلام وقد كانت عاصمة برلين تصدر قبل الحرب العالمية الثانية عشرات المجلات حول الروح ، كانت كلها تخطب خبط عشواء لان الروح ليست من امر هذا الكون بل هى من امر الله ، وقد اختبر اليهود مدى صدق رسالة سيدنا محمد عليه السلام بسؤاله من ماهية الروح ، فاجاب طبقا للآية الشريفة : « قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا » .

وقد حلل الرسول عليه السلام الكثير من المشاكل الفكرية التى تخطب فيها رجال الفكر منذ أعرق المصور وما زالوا يحاولون الكشف عن اسرارها وقد وهم بعض الفلاسفة حتى المسلمين ممن تأثر بالمدرسة الاغريقية عند ما وسعوا دائرة العقل اكثر من اللازم ، فزعم ابن طفيل الاندلسى المغربى فى رسالة «حي بن يقظان» وابن سينا المشرقى فى «رسالة الطير ودوفوسى Defoe الاوربى فى قصة روبنسن كروزوى Robinson Crusoe ان الطفل الذى تربى فريدا وحيدا فى الغابة دون ملامسة البشر يمكنه بمجرد التفكير ان يحقق وجود الله ، ولكنهم لم يدركوا ما ادركه الغزالي انطلاقا من احاديث الرسول ان النفس والروح والقلب والعقل مدارك لطيفة ربانية واحدة من جملة ادواتها الالهام *Inspiration* السذى به خططت النحلة منهج حياتها وهيكلى خليتها بصورة غير قابلة للخطأ *Infaillible* كما يقول علماء الاحياء وهو مصداق قول الله تعالى : «واوحى ربك الى النحل» وهذا الالهام هو الذى يتبلور عند المرأة فى صور محدس *Intuition* اى حس سادس اثار اليه الحديث المرسل او الموقف بقوله «اللهم ايماننا كايهان العجائز» وهو ايضا منطلق علم اليوكا *Yoga* اليوم ذلك العلم الذى اخصيت شخصا بين وصفاته التجريبية التى اصبحت مناط جاذبية الشباب - نيفا وعشرين حركة ووضعة فى الوضوء والصلاة وحدهما ولا اريد ان اطيل فى هذا الباب مخالفة ان ننزلق الى متاهات بعض المتصوفة التى جعل الرسول عليه السلام حدا مشروعا لابعادها عندما قال «امرنا ان نحكم بالظاهر والله يقولى السرائر» فضرب عليه السلام اروع المثل لوجوب الالتصاق بالارض دون المروج الى الاجواء المتناهية حتى نظل منطقيين واقعيين فى شؤون هذه الدنيا وفى علاقاتنا مع بنى الانسان .

تلك فذلكة مقتضبة جدا لم نستهدف من خلالها سوى لمسات عابرة لحقائق لا يمكن استيفاؤها فى عرض موجز غير اننى اتمنى انفسح المجال لزملائى المؤتمرين وخاصة اخوانى المسيحيين لا لقاء ما يعرض لهم من أسئلة نستكمل بالاجابة عنها مالم نتمكن من تفصيل القول فيه .

الرحلات الحجازية وصلة بين شقي العربيه

لِلأُسْتَاذِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

واستقرت في مناطق بابل الى آسيا الصغرى ومنها انطلق الاخيون والدوريون في القرن الثالث عشر قبل الميلاد الى بحر ايجيه لتأسيس متمدنات اليونان . (1)
فلا بدع اذن أن تستكمل الجزيرة العربية مسارها الحضارى في تاريخ المستقبل لانها هى النبع الوحيد الذى يفيض ليفخر تواريخ الانسانية في كل مكان وخاصة في الممرور الذى رفرفت عليه ألوية الاسلام .

وقد تجلت هذه النفحات في آلاف الرحلات التى دونها المسلمون طوال أزيد من ألف عام في مختلف بقاع الارض ليسجلوا انطباعاتهم وارتساماتهم في طريقهم للاحب الى الحرمين

وقد يكون من العبث محاولة تتقصى هذه النفحات بالنسبة لاقليم بذاته فضلا عن المجموع غير أن استعراضا موجزا لرحلات ضمن مكان مخصوص كرحلات المغاربة في مختلف العصور تعطينا صورة عن مدى اسهام الفكر العربى المسلم في هذا الشق الغربى للعالم العربى في دعم مقومات الكيان الذى هو من أبرز مفاخر تراثنا ومظاهر وحدتنا .

وهاكم نبذة يسيرة ونموذجا مقتضبا عن الرحالين المغاربة :

— ابراهيم السوسى العينى (المتوفى عام 1199 هـ / 1784 م) .

لا يوجد في تاريخ الانسانية موقع جغرافى حج اليه ملايين البشر في كل جيل مثل الجزيرة العربية ، ولا يوجد موطن استقطب خمس الانسانية في طموحاتها الفكرية وتطلعاتها الروحية مثل الحجاز ، الوطن الروحى الاول لكل مؤمن فادعاء الاغتراب في مهبط الوحى ومنطلق الرسالة المحمدية هو شذوذ في عقيدة كل مؤمن يستشف في مثنوى الرسول رمز الرحمة والمثالية واشعاع الروح وايماض الوجدان فلذلك لم تمر ف مواقع السياحة الدولية مسارا أكثر استرواحا واشد استمراحا من هذه الارض الطاهرة التى ظلت كعبة الرواد منذ انطلقت دعوة ابراهيم الخليل الاب الثانى للبشرية تذكى الائمة والمشاعر خلال أربعة آلاف السنين وشاء القدر الذى هيا لهذه البقعة المقدسة أن تكون منارا للانسانية جمعاء — أن تكون أيضا منطلق الحضارات التى اشعت على الرافدين ونهر بارادا والبحر المتوسط وقد جمعنا الحجج التاريخية النابعة من الحفريات الاثرية ومقارنة اللهجات السامية الدالة على أن الجزيرة العربية هى منبع الحضارات السامية التى كيفت اقالييم الهلال الخصيب وماوراءه اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ولذلك يمكن القول بأن العرب البائدة الاصلية هى التى نزحت من جنوب الجزيرة العربية حول الالف الثانية قبل الميلاد الى جنوب العراق

(1) راجع بحثا حول «اللغة الام» في مجلة اللسان العربى م 11 ج 1

له رحلة الى الحجاز في مجلدين

وقف على نصفها بخط المؤلف في مجلد المرحوم العلامة المختار السوسى في قرية داود (قبيلة اكلو بضواحي تنزيت جنوبى المغرب) وقد اختصرها محمد ابن مسعود المعدى ووقف على الاختصار كذلك الشيخ المختار السوسى وهو مبتور كالأصل

— ابن ابي عسيرة أحمد الفاسى الفهرى (1137 هـ / 1724 م)

له رحلة حجازية نقل عنها صاحب «نشر المثنى» في ترجمة ابراهيم بن محمد الشاوى السرى ونسبها له سلطان المغرب مولاى سليمان في كتابه «عناية اولى المجد» ولعلها ضاعت

— الانزقى أحمد بن محمد ابو محمد اسحاق الخزاعى الفاسى له «تاريخ مكة» (نسخة بالمانيا الشرقية عدد 1705)

— ابن بطوطة محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتى الطنجى (779 هـ / 1377 م)

له «تحفة النظر في غرائب الامصار وعجائب الاسفار» وهى لا تزال مفقودة لم ينشر منها الا قسم اختصره ابن جزى (بامر السلطان ابي عنان المرىنى) توجد نسخة منها بمكتبة جامعة القرويين بفاس (عدد 1285) وست نسخ بالمكتبة الملكية بالرباط من عدد (151 الى 1356) ونسخة بالمكتبة العامة بالرباط (عدد 1376) . طبعت مرارا اعوام 1278 / 1322 / 1346

— ابن جبير محمد بن احمد الكتانى الاندلسى (614 هـ / 1217 م)

له رحلة اسمها «تفكرة بالآخبار عن اتفاقات الاسفار» نشرها ويليام رايت Wright الانجليزى عام 1269 هـ / 1852 م . كما نشرت في لندن عام 1325 هـ 1907 م ومخطوطاتها نادرة توجد نسخة مبتورة بالزاوية الحزاوية بالمغرب وأخرى مبتورة أيضا بالمكتبة الملكية بالرباط (عدد 5855)

— ابن جزى محمد بن احمد (741 هـ / 1340 م) له فهرست كبيرة اشتملت على كثير من رجال المشرق ومن بينهم شيوخ الحجاز

— ابن جعفر أحمد الكتانى (1340 هـ / 1922 م) له فهرست عد فيها أشياخه المشاركة مع نصوص

اجازاتهم . توجد نسخة عند ولده الاستاذ محمد ابراهيم في ثلاثة كرايس .

— ابن جعفر محمد بن ادريس الكتانى (1345 هـ / 1926 م)

له «الرحلة السامية لالاسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية» الفها في رحلته الاولى عام 1322 هـ / 1904 م ومات دون إتمامها والموجود منها سبعة كرايس .

— ابن حسون احمد بن العربى الوزانى له «الرحلة الوزانية المزوجة بالناسك المالكية (في 8 كرايس) رحل الى الحجاز عام 1269 هـ / 1852

توجد نسخة بخط المؤلف في خزانة الشيخ عبد الحفيظ الفاسى وأخرى في الخزانة السودية بفاس .

— ابن رشيد محمد بن عمر بن محمد السبى (المتوفى بفاس 721 هـ / 1321 م)

له رحلة تسمى «بلد العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيبة الى الحرمين مكة وطية» (في خمسة اجزاء مصورة بمعهد مولاى الحسن بتطوان وتوجد نسخة بالاسكوريال) .

— ابن سعيد المغربى على بن موسى العنسى (685 هـ / 1286 م)

له «النفحة المسكية في الرحلة المكية» (بالإضافة الى رحلته «عدة المستنجز»)

— ابن سودة عبد القادر بن محمد بن عبد القادر ابن الطالب (ولد عام 1301 هـ / 1883 م) .

له «الرحلة الكبرى في هذا العالم برا وبحرا» (رحل الى الحج عام 1327 هـ / 1909 م) وهى تقع في أربعة اجزاء طبع الاول منها بالمطبعة الجديدة بفاس .

— ابن طوير الجنة احمد المصطفى الصحراوى الحميرى الشنجيلى

له «رحلة المنى والمكة» قام بها بعد عام 1245 هـ / 1829 م وهو غير ابن الطوير عمر المراكشى الذى شهر بالحجاز بأبى الخطاب السوسى (المتوفى 622 هـ / 1225 م)

— ابن الطيب محمد الصملى المتوفى بالمدينة المنورة 1170 هـ / 1756 م

- أبو القاسم بن يوسف التجيبي السبتي رحل الى المشرق عام 696 هـ / 1295 م .
- له رحلة وقف عليها ابن حجر (كما في « الدر الكامنة ») في ثلاثة مجلدات ضخام هذا فيها حذو ابن رشيد الذي رحل قبله بعشر سنوات وزاد هو تضيفين الرحلة مشيخته مستوعبة .
- أحمد الشيخ بن عبد العزيز بن الرشيد الهلالي (1175 هـ / 1761 م)
- له رحلة الى الشرق .
- أحمد بن عبد القادر بن علي القادري يدعى علاا عاش سبع سنوات في القاهرة وتوفي بفاس 1133 هـ / 1721 م .
- له رحلة سماها : « نسمة الاس في حجة سيدنا ابي المباس » (اي أحمد بن معن الذي رافقه الى الحج عام 1100 هـ / 1689 م) توجد في المكتبة الملكية عدد 8787 وكرايس منها في الخزانة الفاسية .
- أحمد بن علي بن محمد دينية الرباطي (1282 هـ / 1864 م) .
- له رحلة الى الحج (1267 هـ / 1850 م) ذكرها حفيده في كتابه « النسمات الندية (طبعة الرباط 1936) .
- أحمد بن محمد أحزى الهشتوكي .
- له رحلة اسمها « هداية الملك العلام الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام » (توجد بخط المؤلف بخزانة تمكروت بالصحراء رقم 276) وقد شرع في هذه الرحلة عام 1096 هـ 1684 م .
- ادريس بن عبد الهادي الشاكري (1331 هـ / 1913 م)
- له رحلة حجازية في كراستين توجد نسخة منها في المكتبة العامة بالرباط عدد 1115 د ونسخة أخرى في مكتبة الكلاوى ، وقد حج عام 1288 هـ / 1871 م وفي رحلة ثانية الى الحج تسوفى بالحجاز .
- الحسن اليوسى له رحلة جمعها ولده محمد تام بها عام 1101 هـ / 1689 م
- توجد نسخة منها في المكتبة الملكية بالرباط عدد 2343 .
- عبد الرحمن المدعو الغنامي الشاوي .
- له ثلاث رحلات منها رحلة قام بها عام 1139 هـ / 1726 م توجد نسخة نريدة منها في خزانة ليبسيك Leipzig (بالمانيا الشرقية) وقف عليها الاستاذ محمد الفاسي .
- ابن عثمان محمد المكتاسي وزير السلطان المولى سليمان (1202 هـ / 1787 م)
- له « احراز المولى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والتبرك بقبر الحبيب » (نسخة لابن زيدان ضمت الى المكتبة العامة بالرباط)
- ابن العربي المعافري أبو بكر محمد بن عبد الله (543 هـ / 1148 م)
- له رحلة توجد نسخة منها في مكتبة السيد عبد الحي الكتاني التي ضمت الى المكتبة العامة بالرباط وهي في اسفار ذكرها الناصري في رحلته وأشار اليها المراكشي في الاعلام ج 5 ص 223 .
- ابن مليح محمد بن أحمد السراج .
- له « رحلة حجازية اسمها » انيس الساري والسارب من اقطار المغرب الى منتهى الآمال والمآرب وسيد الاعاجم والاعارب » .
- ارتحل من مراكش عام 1040 هـ / 1630 م
- محنة الركب الحجازي (نسخة بالمكتبة الكتانية في عشرة كرايس عدد 3152) . وقد حققها الاستاذ محمد الفاسي .
- ابن ناصر محمد بن عبد السلام (1239 هـ / 1823 م)
- له « الرحلة الكبرى » في سفرين رحل عام 1196 هـ 1781 م اختصرها المراكشي في الاعلام (ص 193 — 233) — توجد نسخة في خزانة تامكروت في جزء ضخمة ونسخة بالمكتبة العامة بالرباط عدد 2327 (النصف الاول) والمكتبة الملكية بالرباط عدد 147 .
- له رحلة صغرى قام بها عام 1211 هـ / 1776 م (مجلد وسط في الخزانة الاحمدية)
- أبو راس محمد بن أحمد بن عبد القادر الناصري العسكري الجزائري الجليلي (1239 هـ / 1824 م)
- له عجائب (او غرائب) الاسفار (نسخ بالجزائر عدد 1632 وتلمسان عدد 96 وبباريس عدد 5114) .

له رحلة اشار اليها صاحب «صفوة من انتشر»
ونقل عنها في «نزهة الحادي» .

— عبد السلام بن محمد بن المعطى السمرغيني
الممرانسي المراكشي .

له رحلة قام بها مع شيخه سيدى محمد الكتاني
عام 1321 هـ / 1903 م توجد نسخة منها بخزانة الكتاني
بالمكتبة العامة بالرباط .

— عبد القادر بن ابي جيدة احمد الكوهن .
له رحلة حجازية توجد نسخة منها بخزانة الكتاني
— عبد الله بن احمد ابو مدين الروداني الدرعي
(1137 هـ / 1723 م) .

له رحلة حجازية ينقل عنها ابراهيم العيني في
رحلته (نسخة بخزانة تمكروت في مجلد) .

— عبد الله بن محمد الوردى المراكشي (كان حيا
عام 999 هـ / 1590 م) .

له رحلة حجازية (فكرها ابن القاضى في درة
الرجال ج 2 ص 342) .

— عبد الله بن محمد بن ابي بكر ابو سالم
العياشي (1090 هـ / 1679 م)

له رحلة اسمها «ماء الموائد» في مجلدين طبعت
بناس عام 1316 هـ / 1898 م

اختصرها محمد بن الحسن بناني (المكتبة الملكية
نسخ عدد 629 الى 5259) ورحلة اخرى سماها
«تعداد المنازل» ألفها لتلميذه احمد بن سعيد المكلاتي
نسخة بخزانة الشيخ عبد الحفيظ الفاسي

— عبد المجيد بن على الزبادى المنالى الفاسي
1209 هـ / 1794 م

له رحلة سماها «بلوغ المرام بالرحلة الى بيت الله
الحرام» توجد نسخة منها في المكتبة العامة بالرباط رقم
1808 د (في 184 ورقة) واخرى بالخزانة الفاسية وقد
تضمنت قصيدة رائية في 129 بيتا جامعة لمراحل
الحجاز من مصر الى مكة مع مناسك الحج عليها شرح
اسمه «اتحاف المسكين الناسك ببيان المراحل والمناسك
لاحد تلاميذه الزبادى .

— عبد الواحد بن الصنهاجى السوسى (1135 هـ
1722 م)

له رحلة ذكرها الشيخ الحضيكي في الطبقات
— العربي بن على المشرفى المسكرى المتوفى
اوائل العشرة الثانية من القرن الرابع عشر له «الرحلة
المريضة في اداء الفريضة» يوجد طرف منها في الخزانة
السودية بناس

— العربي بن محمد الدمناتي
له رحلة ذكرها ابو عيسى المهدي بن سودة في
ترجمته من فهرسته وقد رحل قبل 1244 هـ / 1828
وهي تعد مفقودة

— محمد بن احمد بن عبد الله الحضيكي
له رحلة حجازية (نسخة بالمكتبة العامة بالرباط
عدد 896) واخرى بالمكتبة الملكية عدد 405
— محمد بن الحسن السبمي

له رحلة قام بها عام 1310 هـ / 1892 م (توجد
نسخة منها بمكتبة الكتاني الملحقة بالمكتبة العامة
بالرباط) .

— محمد بن سعيد الرعيني الفاسي (778 هـ /
1376 م) .

له رحلة نظم فيها مراحل الحجاز (جذوة الاقتباس
ص 147) .

— محمد بن سليمان بن داود الجزولى (863 هـ
1458 م)

له رحلة ذكرها ابن القاضى في «لقط الفرائد»
— محمد بن عبد القادر الاسحاتى المدعو
الجيلالى المتوفى بعد 1150 هـ / 1737 م

له رحلة قام بها عام 1143 هـ / 1730 م مع
السيدة خنثة بنت بكار ام السلطان مولاي عبد الله بن
المولى اسماعيل العلوى (تقع في مجلدين يوجد الاول
بخزانة جامعة القرويين) عدد ج ل 80 — 383 .

— محمد بن عبد الله الولاتي الشهير بمولاي
الشريف (1101 هـ / 1689 م)

له رحلة حجازية ربما ضاعت (الاعلام للمراكشي
ج 5 ص 48) .

— محمد (اوحم) بن عبد الوهاب الوزير الفساني
(1119 هـ / 1707 م)

«رحلة الوزير في افتكك الاسير»

له رحلة أخرى إلى الحجاز

— محمد بن علي الرافعي التطواني

له الرحلة الشرقية الحجازية (توجد نسخة منها
بمخزنة الاستاذ محمد داود بتطوان) (تاريخ تطوان
ج 1 ص 312) .

— محمد بن علي الطرابلسي المعروف بزغوان

له رحلة اسمها «النفحات القدسية في الرحلة
الحجازية» (توجد نسخة بالمكتبة العامة بالرباط عدد
1836 د (في 103 ورقات) .

— محمد بن علي المعروف بالعباشي (لقبا لانسابا)

له رحلة حجازية ذكرها عبد المجيد بن علي
الزبادي النالي في رحلته حيث وقف عليها في مجلد بخط
المؤلف بمخزنة رواق المغاربة بالازهر الشريف .

— محمد بن محمد المراتب الدلائلي الفاسي

(1099 هـ / 1687 م)

له الرحلة المقدسة (136 بيتا) ذكر فيها منازل
الحج من فاس إلى المدينة المنورة (راجع البدور الضاوية
لسليمان الحوات)

— محمد بن محمد بن علي العبدري المتوفى آخر

المائة السابعة .

له رحلة قام بها عام 688 هـ / 1289 م تقع في

مجلد وسط توجد نسخ بالزاوية الحماوية بالمصحاء
المغربية وبالمخزنة الاحمدية بفاس وبمخزنة جامعة
القرويين (عدد د 1012) والمكتبة الملكية بالرباط (1351
6594 / 869 / 2810 وجامع الزيتونة (53) والمكتبة
الوطنية بباريس (2283) وليدن (801) والاسكوريال
(1738) اختصرها ابن قنفذ في كتاب سماه «المسافة
السنية في اختصار الرحلة العبدرية» (وقف على
الاختصار بسوس الشيخ المختار السوسي (راجع كتابه
« من خلال جزولة ») .

وقد طبع الرحلة الاستاذ محمد الفاسي عام

1968 ، وكان لرحلته اثر كبير في الشرق حيث قرا على
شيوخ جلة وتلمذ عليه آخرون .

— محمد بن محمد بن محمد التامراوي (1285 هـ

1868 م)

له رحلة قام بها عام 1242 هـ أوردها بنمها

محمد المختار السوسي في كتابه المعسول (ج 8
ص 198 — 213) .

ومن فوائد الرحلة استيراد المؤلف لكتب كثيرة
بخط مشرقى عززت التبادل الثقافي بين المشرق
والمغرب (1) .

— محمد بن منصور العامري التازي (المتوفى

حوالي 1170 هـ / 1756 م)

له «الرحلة العامرية» وصف فيها المراحل من

تازة إلى الحرمين والشام وهي همزية نظمها في 335
بيتا عام 1152 هـ توجد نسخة بالمكتبة الاحمدية بفاس
ونسختان بمكتبة الاستاذ محمد المتوفى بمكناس احدهما
بخط المؤلف وقد نشر المتوفى نص هذه الرحلة في كتابه
«ركب الحج المغربي» ص (88)

— نظم مراحل الحجاز مع شرحه لابن غازي

المكناسي (النيل ص 272) ، وهناك رحلات أخرى غير
هذه يتعذر استيفائها وانما اعطينا نماذج لنلمس مدى
اهمية هذا النوع من التراث في لقاء اضاء كاشفة على
جوانب خاصة من تاريخ الجزيرة العربية والاقتصاد
الواقعة في طريق الحجيج وهي دول المغرب العربي
وليبيا ومصر بالنسبة لنا نحن المغاربة الرابيين بين
البحر المتوسط والمحيط فهناك مثلا رحلات سوسية
كثيرة منها في خصوص القرن الثاني عشر فقط علاوة
على ما فكرنا رحلة أبي مدين ورحلة البيوركي ورحلتنا
احمد احوزي الكبرى والصغرى ورحلة عبد الواحد
ابن الحسن الصنهاجي وغيرهم .

ولا توجد في جغرافية «المسالك والممالك» قطعة

من الارض حظيت بعناية الرحالين والمؤرخين مثل
الطرق الكبرى المؤدية إلى الحجاز التي منفتت فيها مات
الكتب المختلفة المنازع والاساليب ومات القصائد
الحافلة بوصف المنازل والمراحل علاوة على ما تطلع به
من مشاعر الحنين التي جعلت من هذه الطرق لا
متمعدات فقط بل مجيحات استوثقت عبرها الصلات
بين الشعوب الاسلامية ومبادلة الاجازات بين العلماء
وتلاحق الفكر العربي والاسلامي مما لم يعرف له نظير
حتى بعد عصر النهضة وما طرا من سهولة وسرعة على
المواصلات .

(1) راجع كتابنا «رسل الفكر بين الشرق والغرب» في مختلف المعصور .

على منجزاته العلمية مثبتة بأرقامها في سجلات المكتبات المغربية العامة وببذل الآن « معهد المخطوطات » التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تصارى الجهد لتصوير التراث وجعله في متناول الدارسين والباحثين من أجل تحقيقه وطبعه ولنضرب أمثلة ببدى تنوع مجالات ومجالى جوانب من تراثنا لم نتمكن بعد من تقييمها وبعضها منتشر في مخطوطات التراث فاذا اقتصرنا على من رحل من المغاربة الى الشرق للحج أو الجوار دون تصنيف رحلات خاصة عن أسفارهم وجدنا كثيرا من هؤلاء قاموا بدور طلائى في بلورة التبادل بين أجزاء العالم الاسلامى وقد كتبنا بحثا بعنوان « رسل الفكر بين الشرق والمغرب » لمحا فيه الى أهمية هذه الجوانب .

ومن هؤلاء : أحمد بن عبد الله الغربى الرباطى الدكالى (1178 هـ / 1764 م) رحل الى المشرق عام 1140 هـ / 1727 م وأخذ عن شيوخ مصر والحرمين وطار صيته في الحجاز فأصبح أحد سفراء الشرق لا في المغرب الاقصى وحده بل من فاس الى (داكار) نظرا للدور الذى كانت تقوم به جامعة القرويين وعلمائها بين الشناقطة وأهل السنغال من خلال مذهب واحد نفلت جذوره في قلب الحواضر والصحارى وهو مذهب إمام المدينة مالك بن أنس ويكنى أن نلاحظ أن المسمى على بن عبد القادر الشرقى باشا السودان (أى السودان الغربى أو السنغال الحالية) هو الذى ترأس ركسب حجيج السودان عام 1040 هـ / 1630 م محبة الرحالة المغربى ابن المليح الذى أشرنا آنفا الى رحلته حيث كانت مواكب الحجيج من (داكار) الى فاس تتجمع لتأليف قوافل ما يمكن أن نسميه اليوم بأفريقيا الشمالية الغربية .

وبعض هؤلاء الحجاج الذين لم يضموا لرحلات منفوا في « مناسك الحج واداب الزيارة » كأحمد بن تاسم جسوس (1331 هـ / 1912 م) الذى توجد مخطوطة كتابه في المكتبة العامة بالرباط عدد 1821، وأحمد بلقاسم الكرسيفى السوسى .

ومن المغاربة الذين جاؤوا في الحجاز وطاقوا المعمور ناقلين روائع الفكر الاسلامى الحجازى وخاصة المكى والمدنى الى مختلف الجهات :

— سليمان بن أحمد الطنجى المتوفى قبل 440 هـ

1048 م

بل أن طرقا صوفية سنية كطريق أبى محمد صالح دفين آسفى (وهو من رجال القرن الثامن امتدحه شعراء الشرق مثل البوصيرى) اقتصر شعارها الصوفى على ترحيل الحجيج من المغرب الى الحجاز وتوفير النزلات ومتطلبات السفر على طول المراحل وخاصة خلال الصحراء وكان هؤلاء الحجيج الذين لم تكن تخلو منهم الجادات والسبل الكبرى طوال السنة يتواكبون في ركب موصول يسمى « الركب الصالحى » يستهدف بالإضافة الى أداء فريضة الحج توثيق الرباط بين الشعوب الاسلامية وكانت لأمواج الحجيج قوافل تنحدر من شنقيط وكبريات عواصم المغرب لتتجمع بسجلماسة أو مراكش أو فاس ومنها تتخذ طريقها متكافة عبر ما سباه الرحالة ابن المليح بطريق الفقهاء الى مقهاة المذهب المالكى الذين كانوا يناهزون عن متجهمات الخوارج في بعض مناطق المغربين الاوسط والأدنى للانتلال من بلاد (فزان) الى أرض الكنانة .

وقد تبلور نتاج هذه الروابط علاوة على الرحلات فيها صنفه العلماء من فهارس واثبات سجلوا فيها اجازاتهم وارتساماتهم وما جنوه من ثمار خلال رحلاتهم فلم يقل هذا النوع من المعلومات فائدة ولا عائدة عن مضامين الرحلات وكانت الصلات حقا متبادلة الا انها نادرة بالنسبة للواردين على المغرب من الشرق ومع ذلك فإن فكرهم التابع من اجازاتهم ودروسهم ومؤلفاتهم كان يرحل الى المغرب مع العائدين فيسهم بحظ وافر في إثراء المكتبة العربية الاسلامية في المغرب العربى ومازالت مكتبتنا العامة والخاصة تزخر بنسوار المخطوطات الشرقية التى ضاع بعضها في الشرق واحتفظ المغرب بأصولها الفريدة ويندهش الباحث المشرقى عندما يتصفح فهارس المخطوطات بالمغرب فيجد مات المصنفات الاصيلية التى لا تعرف مكتبات الشرق الا عناوينها محفوظة مصونة تنتظر توثيق التعاون بين شقي العروبة لحياء هذه المعالم الناصعة لتراثنا المشترك وهو عمل يجب أن لا نتوانى في وضع التخطيطات الرصينة لبعثه لانه لا يقل أهمية عن باقى مقومات تراثنا ودعائم كياننا الحضارى ، وقد حاولنا استيفاء ما لدينا من عناصر هذا التراث في المعلقة التى أصدرناها بعنوان « الموسوعة المغربية للاعلام الحضارية والبشرية » والتى طبع منها لحد الآن خمس فصالات من خمسين تحتوى بالنسبة لكل عالم مغربى

(جذوة المقتبس من 208 طبعة 1952) .

— موسى بن إبراهيم أبو هارون الاغماتى
المحدث (516 هـ / 1122 م) الذى التحق بعد مقام فى
الحجاز بمصر وخراسان وما وراء النهر وأقام بنيسابور
(طبقات السبكي ومعجم ياقوت الحموى)

— على بن عتيق بن عبد الرحمن الفاسى الاصولى
المفسر الحافظ (كان حيا عام 726 هـ / 1325 م) الذى
استقر بعد فى « صفد » قبل العودة الى المغرب .

— محمد بن موسى المراكشى المكي الذى سمع
من شيوخ مصر ثم رحل الى الشام والقدس واليمن
حيث ولى مدرسة الناصر وأقام بها الى أن توفي عام
823 هـ / 1420 م (الاعلام للمراكشى ج 4 ص 50 /
ذيول طبقات الحفاظ) ، وقد أجاز له ابن عرفة (شذرات
الذهب ج 7 ص 162) .

— محمد بن محمد العقاد المكي (1030 هـ /
1620 م) الذى مدح المنصور السعدى ملك المغرب
بموشحة عارض فيها موشحتى ابن الخطيب وابن سهل
وتولى قضاء اليمن بتدخل المنصور لدى خاتان ملك
الأتراك .

— محمد المجبرى البعقوبى المغربى الذى كان
أحد أربعة لم يبلغ أحد مبلغهم فى عصره وهو القرن
الثانى عشر الهجرى وكانت له جولات فى الحجاز وسائر
أقطار الشرق ، وقد ألف بعض طولاء الشيوخ علماء
الشرق أو بعض عواصم الشرق بالتأليف حيث صنف
(جازم) صاحب المقصورة وشيخ ابن رشيد السبتي
«الدرة المضية فى تاريخ الاسكندرية» فى مجلدات
«المستفاد من شيوخ بغداد» (درة الحجال ص 137)
ومتاب عواصم الشرق هو قتل من كثر مما كتب حول
الحرمين الشريفين .

— عبد الله السوسى الاديب الشاعر الذى أقام
بتونس وفاق أقرانه ثم توجه الى الشرق وخاصة
الحجاز واستفاد من علمائه وعاد الى افريقية حيث
نقله الأمير على الى تونس (عيون الأريب عما نشأ
بالمملكة التونسية من علم أئيب للشيخ محمد النيفرج 2
ص 20 طبعة تونس 1351) .

محمد بن خليفة المدنى الرحالة الشاعر الذى تولى
بكناس (1313 هـ / 1895 م) (الاعلام للمراكشى ج 6
ص 178 — مخطوط) .

— محمد الفاطمى بن الحسين الصقلى الشاعر
المحاضر فى المدينة المنورة (1311 هـ / 1893 م) .

له تاريخ فى علماء عصره (الاعلام للمراكشى ج 6
ص 157 — مخطوط) ، وقد انتحى بشيخه على بن
ظاهر الوترى مسند المدينة المنورة (1261 هـ / 1322 م)
الذى زار المغرب مرتين (1287 و 1297) وأخذ من
علماء مغاربة جلة وابن ظاهر هذا هو الذى أحيى موات
الرواية بالمغرب واتعشها بالشرق (الاعلام للمراكشى
ج 7 ص 135 — مخطوط) .

— محمد بن أحمد بن سالم الصباغ المكي الذى
توفي فى رحلته الى المغرب (1321 هـ / 1903 م)

له «تحصيل المرام فى أخبار البيت الحرام والمشاعر
المعظم» (الاعلام للزركلى ج 6 ص 247 / ملحق
بروكلمان ج 2 ص 815 / دار الكتب المصرية ج 5 ص
125) .

وهناك كتب أخرى انتشر خلالها تاريخ رجال
الفكر من علماء الحجاز ككتاب «إيضاح البرق فى أعيان
الشرق» لابن الأبرار البلنسى (658 هـ / 1259 م)
واسماء شيوخ مالك لابن خلفون (636 هـ / 1239 م) .
(توجد نسخة منه بالاسكوريال 1747) ومسند حديث
مالك لابن الدباغ خلف بن قاسم (393 هـ / 1003 م)
وشروح الموطأ كشرح ابن صاب الفاسى (642 هـ /
1244 م) و«تهذيب المسالك فى نصرة مذهب مالك» لابن
دوناس الفند لاوى (543 هـ / 1148 م) (توجد نسخة
منه فى المكتبة الحمزاوية بصحراء المغرب) والتهيد لابن
عبد البر وشروح أبى بكر بن العربى المعافى وشرح
ابن السيد البطلانيوسى (521 هـ / 1127 م) و«المربع
فى شرح الموطأ» لابن الصغار يونس (429 هـ / 1038 م)

تلك فذلكة مقتضبة يتضح لنا من خلالها مدى ما
يمكن أن نستقيده من بعث تراثنا العربى الإسلامى فى
مختلف مظاهره ومعطياته وهو بعث كتيل بالإسهام فى
دعم تاريخ العروبة والإسلام وخاصة فى مهددها
بالجزيرة العربية عموما والحرمين الشريفين خصوصا
كما يتضح لنا منها مدى متانة الروابط وعمق الصلات
التي كانت تجمع بين شقي العروبة شرقا وغربا والتي
جعلت من أرض الحجاز مهبطا لانتدتها ، وملتبس
لعلمائها ومنزلا روحيا لابنائها على مر العصور .

2- جهود المنظمة

أ- مؤتمر الشؤون الثقافية في الوطن العربي

وتقديرا منه لمسؤولية الامة العربية في تقديم الثقافة العربية والتراث الاسلامي ونشر اللغة العربية بين المسلمين وخاصة في افريقيا وآسيا .

وبعد ان استبان الجهود التي تبذلها الدول العربية في سبيل بناء الشخصية الثقافية العربية والتغلب على عوائق العمل الثقافي .

واذ يسجل تقديره للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فيما تنهض به من نشاط ثقافي وما اضطلعت به من برامج ومشروعات ، وما قدمت الى هذا المؤتمر من وثائق ودراسات وبحوث .
يعلن :

(1) تصميم الامة العربية على القضاء على جميع آثار الاستلاب الثقافي والغزو الفكري الظاهر والمستتر اللذين تعرضت لهما في الماضي عن طريق الغزوات الاستعمارية ودفع الصور الجديدة من الاستعمار وخاصة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني .

ويتمثل هذا الاستلاب الثقافي - فيما يتمثل - في :
- محاولة فرض مظاهر الاغتراب اللغوي والفكري والثقافي .

- محاولة طمس معالم الشخصية الثقافية العربية .

- محاولة اغراق المجتمع العربي بمواد مناهضة للقيم الثقافية الصحيحة .

ان المؤتمر الاول للوزراء العرب المسؤولين عن الشؤون الثقافية المجتمع في عمان عاصمة المملكة الاردنية الهاشمية من التاسع والعشرين من ذي الحجة 1396 هـ الى الثاني من محرم 1397 الموافق للعشرين من ديسمبر / كانون الاول الى الثالث والعشرين منه عام 1976 م بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

- ايمانا منه بان ثقافة الامة هي توام شخصيتها والمعبر الاصيل عن تطلعاتها وامانيها ، والدعامة الحقيقية لوحدها الشاملة ، وان الحفاظ على تراثها وانتقاله بين اجيالها المتعاقبة وتجديده هو ضمان تماسك الامة ونهوضها بدورها الابداعي في مجال الحضارة الانسانية .

وادرأكا منه لاهمية وضع «سياسة ثقافية عربية موحدة» واضحة الاهداف والمعالم والوسائل تلتزم بها الدول العربية .

وتاكيدا منه لضرورة دعم مجالات التعاون الثقافي العربي ، وتحقيق تنسيق متكامل شامل تعزيزا للوحدة الثقافية العربية .

واقتناعا منه بالدور الحضاري الرائد لثقافة الامة العربية وقدرتها على متابعة رسالتها لخير البشرية واغناء الفكر الانساني وتعميق التواصل بينها وبين الثقافات الاخرى .

- العمل على تزييف التاريخ العربى والإسلامى .
- العمل على تغيير البناء الاجتماعى والسكانى .
- العبث بالملكيات الثقافية وانتهاك المقدسات الدينية .

(2) أهمية التدعيم والتطوير للدور الحضارى العالمى للامة العربية ، لخير البشرية ، واستعادة الرقعة الثقافية التى أفقدها اياها الاستعمار خلال القرون الاخيرة .

(3) ضرورة وضع سياسة ثقافية عربية موحدة تكون سبيلا للتنمية الثقافية وركيزة لخطة عامة للتنمية الشاملة .

(4) ضرورة تحقيق التكامل والتنسيق بين عمل اجهزة الثقافة واجهزة التعليم واجهزة الاعلام فى الاقطار العربية لضمان مزيد من فعالية العمل الثقافى وتوسيع نطاق الخدمات الثقافية للمواطنين ، اسهاما فى تكوين المواطن العربى تكوينا سليما معاصرا نابعا من اصول عرويته وقيمته الدينية .

(5) تأكيد اعتبار الثقافة حقا لجميع المواطنين ، مرادفا لحقهم فى التعليم ولحقوقهم السياسية والاجتماعية .

(6) وجوب العمل على تعميم استعمال اللغة العربية لغة للتعليم فى جميع مراحله وبجميع أنواعه ، وفى البحث العلمى ، ووسائل الاعلام والثقافة ، باعتبار ان اللغة القومية هى اهم دعامة للوحدة ، وهى الوعاء

الصحيح للثقافة الاصلية للامة ، وأن اصالة التفكير العلمى لا تترسخ فى الامة الا من خلال لغتها .

(7) شجب ما تقوم به سلطات الاحتلال الصهيونى فى فلسطين من عدوان على الثقافة العربية هناك فى جميع مظاهرها ، وتأكيد الحرص على التمكين للثقافة العربية فى المناطق العربية المحتلة من القيام بدورها ، وتادية رسالتها .

(8) حرص الامة العربية على تعاون حكوماتها واجهزتها المتعددة لتحقيق ما تضمنه هذا البيان وما تتضمنه توصيات هذا المؤتمر عن طريق برامج ومشروعات محددة تنهض بها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وفق خطة طويلة المدى بالاضافة الى جهود الحكومات العربية فى اطار من التنسيق المتكامل .

وتعبيرا عن عزم الدول العربية على اتخاذ تدابير فعالة لتنفيذ هذا البيان والتوصيات الصادرة عن المؤتمر ولإزالة العوائق التى تعترض مسيرة التنمية الثقافية والتقدم الحضارى للامة العربية .

فان المؤتمر يؤكد :

أ — أهمية الخطوات والدراسات التى تقوم بها المنظمة لإنشاء صندوق عربى للتنمية الثقافية فى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

ب — أهمية توصيته بتكوين لجنة دائمة للثقافة العربية فى المنظمة يكون من مهامها متابعة تنفيذ توصيات هذا المؤتمر والاعداد للمؤتمرات التالية .

ب- نشر اللغة والثقافة العربية

قدم السيد المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الى المجلس التنفيذي وثيقة بشأن اجراء دراسة ترمى الى تجميع الجهود العربية وتوحيدها لنشر اللغة والثقافة العربية نلخصها فيما يلى :

العربية لاسباب متباينة واهداف مختلفة ، كما ان الجهود المبذولة تبدو مبعثرة من ناحية فاعليتها وآثارها الايجابية، واقتُرحت دولة قطر ان تتبنى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دراسة امكان قيام مؤسسة عربية تهدف الى توحيد وتجميع الجهود العربية لنشر الثقافة واللغة العربية في الخارج .

لذلك دعت المنظمة عددا من الخبراء المتخصصين والمشتغلين في هذه القضايا في مختلف الدول العربية ، وشكلت لجنة ممن سمحت ظروفهم بالمشاركة في اعمالها، اجتمعت خلال الفترة من 31 / 10 - 4 / 11 / 1976م. ودرست الوثائق التى عرضتها المنظمة ، واعدت تقريرا عما انتهت اليه دراستها ، واوصت بضرورة عقد اجتماع آخر في النصف الاول من عام 1977 ، لاعداد

تبيل انعقاد المؤتمر العام في دورته العادية الرابعة (ديسمبر / كانون اول 1975) ورد لادارة العامة للمنظمة مذكرة من دولة قطر تشرح فيها تجارب بعض الدول الاجنبية في نشر لغاتها وثقافتها في الخارج وركزت فيها على تجربة ناجحة للمجلس الثقافي البريطاني استوحيتها من تقرير المجلس السنوى لعام 73 / 1974 م ، واوضحت في المذكرة ان الدول العربية بدأت مؤخرا في بذل جهود موفقة في سبيل نشر اللغة والثقافة العربية في الخارج ، غير انها تبدو قليلة الحجم اذ قيسَت بأهمية اللغة العربية في عالم اليوم وبنهضة الامة العربية في واقعها المعاصر وتشوق بعض الدول الاسلامية الى التعرف الى شؤون دينها ولغة القرآن الكريم ، ورغبة بعض الجاليات الاجنبية في تعلم اللغة